

مجلة المجمع العلمي العربي

شوال وذوالقعدة سنة ١٣٦٥

أيلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٦

المؤلفون في مصر

كتبت الاجادة في التأليف لاكثر حملة العلم عند العرب من أهل القرن الثاني الى الخامس من الهجرة وكتبت الاجادة لبعض هذه الطبقة منذ القرن السادس الى القرن التاسع . وفي هذه العصور الأخيرة كان عهد المتوسطين بقراهم وعلمهم والنوابغ معدودين في كل جيل على أصابع اليد . وبعد العصر التاسع بدأ عصر التقهقر فضعفت اللغة ، وضعفت الآداب وأمت الأقطار العربية في سبات عميق 'نزع من النفوس مضاؤها ومن العقول تفكيرها ، وصار الدور دور العجمة والأعاجم ، ونشأ من ذلك قلة الدارسين والباحثين والشاعرين والناثرين ودام هذا الانحطاط الى اواخر المئة الثالثة عشرة .

تعلقت قدرة المولى تعالى ان يحمل العرب مشعل النور الى العالم بضعة قرون وتعلقت قدرته بعد ذلك ان تقع هذه الشعلة من أيديهم ويتلقفها أهل الغرب . فكان النور قبل العصور الوسطى يحمل من آسيا وأفريقية الى اوربا ، فأصبح بعد ذلك يحمل من أوربا الى آسيا وأفريقية .

ولما كانت النهضة العربية الأخيرة في مصر كان أول ما بدئ به اصلاح اللغة واصلحت القوالب التي يؤدي الكلام بها ، وأخذ التنبه منا عن الغربيين طرقهم في البحث والدرس ، فضموا الى قديمهم حديثاً طريفاً ، وأخذوا عن جيرانهم ما اشتدت حاجتهم اليه من ثقافة وتدريب .

وما جاءت المئة الرابعة عشرة حتى أخذ التأليف بالعربية يتجه وجهة لم يكن له بها عهد منذ أجيال . وما انسلخ الربع الأول من هذا القرن حتى تبدلت هيئة الكتابة وهيئة الشعر وتبدلت بتبدلها هيئة التأليف . أخذ الناس يحرصون على المعاني والمحسوسات أكثر من حرصهم في القديم على الألفاظ والخيالات . ودالت دولة الاممجام والجناسات التي اخترعتها عصور الانحطاط ، وبكاد يقول من قرأ صفحة كتبت في القرن الثاني او الثالث وعارضها بأخرى كتبت في العصر الحادي عشر والثاني عشر أن اللغة تبدلت معالمها وروحها كل التبدل وخلص الجمهور من معان باردة وافكار مكررة وآداب لا تلامس الحياة في قليل ولا كثير . كان الفضل الأول لاجراج اللغة العربية من الابتذال والركاكة وادخالها في طور جديد تجري فيه مجرى عصور الارتقاء لذلك المعهد العظيم الذي دعوه (دار العلوم) في القاهرة فتخرج بأساتذته أناس تشبعوا بالبيان العربي الصحيح وقلبوا بالتدريج الطريقة المألوفة عند المعاصرين ، وبذلك تغيرت لغة الخطب والصحف والكتب والمحاكم والمعابد . ومن عارض بين كتابة أواخر المئة الثالثة عشرة وكتابة النصف الثاني من القرن الرابع عشر يتمثل لناظره الفرق العظيم بين لغة تموت ولغة تحيا ، وبين بيان مضغوط بالمحسنات اللفظية وبيان حي سالم من كل تزبد وفضول .

فصحت دعوانا والأمر على ما ذكر أن التأليف التي صدرت في الربع الثاني من القرن الرابع عشر أرقى من التأليف التي وضعت منذ القرن التاسع الى أواخر الثالث عشر في مصر وبلاد العرب ولا عبرة بالشواذ . والسر الأعظم في

هذه الاجادة يعود لاصلاح اداة التأليف كما قلنا ، ولسلامة اداة التفكير من التلوي والتعقيد ، وكان من أثر ذلك ان طلق المؤلفون الموضوعات التافهة التي لا كتبها الا لسن كثيراً ، وتشبهوا بايجاز المفيد منها ، وأتوا الأمة بأشياء جديدة ما عرفوها ، واصبح المؤلف لا يلخص الا بعد بحث ، ولا بدون الإبتحاص ، ويبرز على كل حال في ابراز الأفكار القديمة والحديثة في قالب مقبول من الرشاقة والجزالة . ولا انغالي اذا قلنا ان التأليف في هذه الحقبة انقلب رأساً على عقب بلغته وأفكاره وان التأليف التي كتبت بر كاكاة أواخر القرن الماضي واوائله تكاد لا تجد من يعطف عليها واكثرها حربية بأن تكون صوراً ولفائف كالجرائد القديمة .

عارضوا كل ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد وتلميذه الشيخ احمد ابراهيم في كتبه الفقهية وما كتبه في هذين الموضوعين من تقدموهما في عصور الانحطاط تجدوا الفرق عظيماً بين من استجمعوا ادوات التأليف كلها وبين من لم يستجمعوها . والناقد البصير يدرك لأول نظرة ان ما كتبه محمد بحيث من شيوخ الأزهر على كثرته محكوم عليه بالعفاء لأنه خلا من روح العصر ومن بلاغة العصر ، وعرا من جمال الأسلوب وجودة التأليف إلا قليلاً . أما ما كتبه محمد عبده على قلته وهو من شيوخ الأزهر أيضاً فانه خالد لأنه كتب ورائده البلاغة وسلامة الفكر ، وكذلك 'تل' في كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق فان هذه الرسالة تبقى لأنها كتبت في موضوع مهم بلغة العصر الحديث وعلى أسلوب تفكير أهله . وليست منفعة التأليف بكثرة صفحاتها وتعدد مجلداتها ، فقطعة الذهب تساوي مئة ضعف من وزنها حديداً . ورب رسالة محكمة خلد بها اسم صاحبها وكم من مجلدات سقيمة هبت مع الزمن منسية . والمكثار لا يأمن العثار على كل حال .

ان ما كتبه قاسم امين في (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) وعبد الرحمن اليكواكي في (طبائع الاستبداد) و(أم القرى) وحافظ عفيفي في (علي هامش

السياسة) و(الانكليز في بلادهم) و(ابراهيم الموبلحي (فيما هنالك) ومحمد الموبلحي (في حديث عيسى بن هشام) ومحمد علي علوبة في (السياسة المصرية) قد يعمّر ويفيد أكثر من مجلدات ضخمة كتبها محمد بنجيت وطنطاوي جوهري وبوسف النبهاني واضراهم فن لم يهضم موضوعه لا يرتجى من الناس ان يهضموه ، ومن لم يتعب في اعداد عدته قلما يقبل قومه على اقتنائها .

اما بعد فان اللغة العربية لغة ايجاز ، ولا سلطان على عقول أبنائها أعظم من العبارات الموجزة وهذا العصر الذي نمش فيه هو أيضاً عصر ايجاز واختزال يملّ أهله التطويل بلا طائل ، ويكرهون التزبد في غير محله . ولو كتب كاتب من أهل العصر الماضي ما كتبه طه حسين في تاريخ (الأدب الجاهلي) و(على هامش السيرة) وفي (الايام) لكتب ألوفاً من الصفحات وما أغنى غناء طه ولا ابداع ابداعه . ولو ألف مؤلف قبل مئة سنة ما كتبه احمد امين في (فجر الاسلام) و(ضحى الاسلام) و(ظهر الاسلام) ما كتبت له هذه الاجادة . ولو تم المنهاج الذي وضعه مع زميله طه حسين وعبد الحميد العبادي على ان يكتب طه الحياة الأدبية في الاسلام كما كتب احمد امين الحياة العقلية ويكتب العبادي الحياة السياسية لكان فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام وثم عصر الاسلام اعظم معلمة عربية في هذا الموضوع لأن هؤلاء الثلاثة المؤلفين رزقوا حظاً عظيماً من البلاغة وعرفوا اساليب الغرب والشرق في التأليف وطرق الافادة .

وكتبت الاجادة في التأليف للعقاد والمازني وعنان على كثرة ما انتجوا ونشروا . ويعود قسم وافر من الفضل في اجادتهم الى تشبعهم باللغات الغربية والأدب العربي . واكبر الظن ان لكثرة التمرين دخلاً كبيراً في هذا الاحسان . وقلّ ان كتبت الاجادة لمثل العقاد على كثرة ما خاض عبابه من الموضوعات السياسية والاجتماعية والفلسفية والأدبية والقصصية ، وقربنه في كثرة الانتاج محمد لطفي

جمعة الا ان الرشاقة قد تخطئه لأنه نشأ مترجماً عن الانكليزية فأضعف النقل من ملكته . أما العقاد والمازني فقد نشأ نشأة أدبية وكان لهم في الشعر أيضاً فضلاً عن النثر يد طولى . ويكثر المؤلفون المحسنون في بيانهم بين طلاب دار العلوم والمعلمين العليا ومدرسة القضاء الشرعي (الملقاة) أكثر من أمثالهم في الأزهر والجامعة المصرية والجامعة الأميركية .

كان لكثير من المؤلفين يد باسطة في التعريب أكثر مما كان لهم في التأليف ، وفي مقدمتهم أحمد فقي زغلول واحمد لطفي السيد ، يعقوب صروف و ابراهيم مصور ونجيب شاهين ومحمد السباعي وفريد ابو حديد واحمد حسن الزيات ، وهذا اجاد في تعريب (رافائيل) للامرتين (وآلام فرتر) لجوته ، والزيات يباليغ في تنميق ما يكتب فيجمع بين ادب العصر واسلوب البديع والخوارزمي والصابي وهو سواء ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد العزيز البشري يتشابهون في طريقتهم ويمتاز الأخير بأسلوبه الخاص به أسلوب الهزل في الجد . و كتابه (في المرأة) الذي ترجم فيه لمعاصريه من المصريين على نهجه الخاص به في السخرية لو خلا من مصانعة بعض من كانوا يوم كتبه من الصدور لكأن من أجل الكتب في بابيه . واحسن ايضاً في كتابه (المختار) وهي مقالاته التي نشرها في مناسبات مختلفة ومن أهم ما ساعد على اجادته أكثر الاوقات احاطته بحياة كبار المصريين وصغارهم فهو قاهري يعرف ما في القاهرة من سر وجهر ويحسن عرض أدب المجالس ويورد النكتة دائماً لها صياغة أدبية يدخل بها المرآح على القلوب . والمجودون في هذا الباب فلائل وما ذاك لأن الجد غالب على المؤلفين بل لأن الهزل صعب المراس على التدوين . وكان عبد الله نديم ورفائيل بن صفوح (ابو نضارة) و ابراهيم المويلحي من أدل من خطا في هذا العصر خطة الهزل في الجد فتذوق معاصروهم هذا النمط من الكلام ، وكان البشري أحد أساطين هذا الهزل المحبوب لهدنا وكان مع صديقه محمد البالي وحافظ ابراهيم من أعظم رجال هذا الشأن .

ومن تلاميذ دار العلوم الذين برزوا في التأليف حفي ناصف واحمد الاسكندري
ومحمد الخضري وعبد العزيز جاويش وعبد الوهاب النجار وضرباؤهم واكثرهم من
المقلين لأن تماطي اكثرهم التدريس طول حياته العملية قطعه عن التأليف بعض
الشيء ولكنهم أجادوا فيما نشره للناس فيمكن ان يقال ان علمهم أكثر من
عملهم وانهم عاشوا للتوظيف لا لأنفسهم . وعلى هذا النحو يمكن القول فيمن
لو تفرغوا للتأليف لبرزوا كل التبريز امثال مصطفى المراغي احمد حسنين علي ماهر
بهي الدين بركات علي زكي العراقي محمد حلمي عيسى محمد علي علوبة محمود ابو العيون
مصطفى عبد الرزاق منصور فهمي مظهر سعيد عبد الرزاق السنهوري سني اللقاني
محمد احمد الغمراوي احمد فهمي العدموسي عبد الله عفيفي انطون زكري ابراهيم
مصطفى توفيق اسكاربوس عمر لطفي رزق الله منقربوس .

فان هؤلاء وامثالهم من الأحياء ابناوا بالقبائل الذي نشره عن كفاية تامة
اما من الأموات فاحمد شفيق وتوفيق البكري عبد الحميد البكري عبد القادر
حمزة علي يوسف علي بهجت اسماعيل رأفت ، محمد توفيق صدقي ، ابراهيم رفعت ،
علي ابو الفتوح ، اسماعيل حسنين ولي الدين يكن ، حسن منصور ، حسن توفيق ،
امين سرور ، محمد فريد ، مصطفى اللمياطي ، محمود مصطفى .

ومن المؤلفين المجهودين احمد كمال الأثري ، محمود سامي البارودي ، حافظ
ابراهيم ، احمد شوقي ، اسماعيل صبري وهؤلاء الأربعة انبع شعراء مصر في هذا
العصر واحمد تيمور (باشا) ، واحمد زكي (باشا) واحمد زكي (الدكتور)
علي مصطفى ، مشرفة محمد ، مسعود حافظ عوض ، عبد الرحمن الرافي ، عبد الوهاب
عزام ، محمد عوض محمد ، محمد حسين هيكل ، محمد ثابت ، اسماعيل مظهر ، مصطفى
كامل ، محمد دياب ، سلطان محمد ، عبد الرحمن الجزيري ، احمد عبدالسلام الكردي
حسن السندوبي ، محمود عرسوس ، زكي نجيب محمود ، محمود الخفيف ، محمد خالد حسنين
عبد العزيز الحلوي ، سعيد العريان ، محمد عبد الغني ، حسن محمد بدران ، امين

مرمى قنديل ، محمد محي الدين عبد الحميد فكري اباطة ، احمد الزين احمد فريد
الرفاعي محمد فهم عبد الرحمن البرقوقي .

ومن ألفوا في العلم والطب والاجتماع والتاريخ والآثار والفقہ احمد عيسى
احمد الشاب زكي مبارك احمد ضيف شوقي ضيف احمد الحسيني عبد الرزاق
السنهوري امين واصف مصطفى زيادة امير بقطر توفيق حبيب اسعد داغر زكي
حسن فرنسيس ميخائيل يعقوب فام عزيز خانكي حسن ابراهيم حسن سلامة موسى
يوسف كرم ابراهيم مدكور عبد الهادي ابو ريده مصطفى عناني احمد محمد شاكر
ومحمود محمد شاكر احمد زكي ابو شادي محمد امين حسونة وفريد وجدي وهذا
اجاد في الرد على الماديين اجادة حسنة واجادته قليلة في الكتب الكبيرة
الحجم التي كتبها وقد بدت عليها العجلة ولم يذهر الدرس والبحث فيها كثيراً
فالاكثر اضرته بعمل هذا المؤلف النشيط العالم . وارجو ألا يكون كذلك حال
المؤلف امين سامي فاني لم يسهمني الحظ بقراءة ما كتب ، ورجال الرأي مجمعون
على انه من أعظم المؤلفين .

وطرس الأدب العربي الحديث على اثر الأدب الغربي فكان من مستلزمات
ذلك ان يستخدم القصة للتعليم والتسلية والعبث على أساليب الفرنج في هذا الضرب
من الأدب ، فمن الجودين في الرءايات التثيلية شوقي والعقاد ومن الجودين في
القصة المنشورة توفيق الحكيم ومحمود تيمور فالأول تلمح فيما كتب صورة من
صور الغرب اكثر مما تحمل كتابته روح الشرق ، وفي قصص الثاني تمتثل لك
الروح المصرية الشرقية وهناك غيرهم من كتاب القصص واكثرهم ثقلة ومعربون
لم أعرفهم . اما لأنني ضعيف الولوع بالقصة او لأن ضعف الكتابة فيما وضعوا
وترجموا حال دون اعطاء الحكم فيهم .

وبكثر فيهم المؤلفون الذين وضعوا كتباً مدرسية للمدارس الابتدائية
والثانوية وبعضهم اشتركوا مع زملائهم في وضعها وقد تجد كتاباً ليست له مكانة

كبرى تعاور تأليفه بضعة مؤلفين واظن الداعي الى ذلك الكسب لأن هذا النوع من الكسب يربح أرباحاً طائلة خصوصاً اذا كان له في وزارة المعارف من يساعد على انتشاره .

وهناك عشرات من المؤلفين الذين كانوا من أصل سوري فنزلوا امصر وظهر فيها فضلهم ومنهم من تمصر وتولى بالجنسية المصرية ومنهم من تعاطوا الطب والحاماة والصحافة والوظائف فما انتجوا كثيراً لأن طبيعة أعمالهم اليومية حالت دون ما قد يشتهون تدوينه لنفع الناس . فمن هذه الفئات يعقوب صروف فارس نمر شبلي شميل خليل مطران عزيز خانكي نجيب حداد امين حداد محمد رشيد رضا رفيق العظم داود بركات خليل ثابت انطون الجميل نعوم شقير سعيد شقير جرجي زبدان محب الدين الخطيب فؤاد صروف وغيرهم .

بقي ان اقول ان هناك عشرات من المؤلفين لم تواتني الايام ان اشرف بعرفتهم او استفيد من علمهم في كتبهم وذلك لأن كتبهم لم تشتهر الشهرة التي تستحقها او انهم خاضوا من العلم فروغاً لم اعرفها . وأنا لم أنكم إلا على المؤلفين الذين عرفتهم وطالعت كتبهم مستحسنًا او ناقدًا . ولم اقصد بهذه العجالة الحصر فالحصر يحتاج الى نفس أطول . وما زلت شهد الله منذ عرفت مصر اتعرف الى كثير من المعمرين وأعتقد ان بعضهم لو نظموا اوقاتهم بنظام بعيد عن الفوضى الاضطرابية احياناً لاشتهروا في الأقطار بما يوازي مكانتهم الأدبية والعلمية . واني أمثل لذلك بأربعة فقط عملت معهم في مجمع اللغة العربية بمصر وهم حسين والي واحمد العوامري وعلي الجارم ومحمد احمد جاد المولى فقد اعجبت بما انطوا عليه من علم عزيز في آداب العربية ومعرفة دساتيرها وأمرارها بيد ان ما نشره للناس اقل مما كان يرجى منهم . وما علقت ذلك الا بأنهم صرفوا جزءاً عظيماً من أعمارهم في التدريس أو الاستخدام فضاقت أوقاتهم عن الاتساع لغيره من الأعمال الكبرى . نعم تخرج بهم كثيرون ولكن لم يتجاوز أنوار معارفهم البيئة التي اضطربوا فيها . ومن المتعذر ان يتحوز الفرد كل المزاي فالمحاضر غير الخطيب

والكاتب غير الشاعر والمؤلف غير المدرس والصحافي غير السيامي ولا عبرة بالشواذ .
 واكبر الظن ان علة ذلك كله تفضيل الناشئين العيش الهنيء المضمون في
 أبواب الحكومات وايتارهم له على الصناعات الحرة التي يسرح صاحبها ويمرح على
 هواه ويتحمل وحده تبعه اعماله . ولو ضعفت شهوة الاستخدام في بعض النفوس
 المصرية ربما زاد عدد الباحثين المجهودين وتضاعفت جمهرة من ينتفع الناس منهم
 نفعاً عاماً وربما كان تغير بذلك وجه المدينة العربية . والأهم التي تعلق كل مجد
 لها على حكوماتها فقط يكون حظها من الحضارة محدوداً بخلاف الأمم التي
 يعول بنوها على الاستقلال في الأعمال وتنقزز نفوسهم من الاتكال . وليس
 من الغرابة في شيء ان يكون معظم مؤلفي مصر في هذا العصر من الذين اتصلوا
 بالحكومة مباشرة وقل ان رأينا ذا نعمة وسعة من العيش حاول نفع الناس
 بقلمه وبيانه اللهم الا ثلاثة عظماء من أمراء البيت العلوي الكريم وهم الأمراء
 عمر طوسون ويوسف كمال ومحمد علي توفيق فكتب الأول في تاريخ مصر الحديثة
 كتاباً مفيدة جداً ووضع الثاني سفرأً عالياً سماه المجموعة الكيالية ضمنه جميع
 ما كتب في جغرافية افريقية باللغات القديمة والحديثة انفق عليه نحو خمسين الف
 جنيه مصري وصدر منه الى الآن ثلاثة عشر مجلداً طول الواحد نحو متر .
 وكتب الأمير الثالث رحلاته الى انحاء العالم الشرقي والغربي فجود بها وأفاد .
 هذا وقد يتساءل بعضهم فيقول اليس في كل هذا الرعيل من الرجال سيدات
 جارين الرجال في التأليف في مصر على عهدنا الأخير فالجواب نعم ان منهن اليوم
 من هن موضع العجب فمن عهد عائشة عصمة التيمورية الى زينب فواز وملك
 ناصف (باحثة البادية) الى ماري زيادة (مجي) الى نور الحكيم الى نائلة الحكيم الى
 زينب الحكيم الى انصاف فيحي الى احسان احمد القوصي الى سهير القلماوي الى
 امينة سعيد الى غيرهن من المؤلفات نرى طبقة ضاهت الرجال باخراجها ثمرات
 عقولها للناس وسيخرج من النساء عدد أكبر في الجيل المقبل .

محمد كرد علي



الغزالي وزعماء الفلاسفة

١ - تمهيد عام

لتطور الأفكار في تاريخ البشرية قانون عجيب يمكننا ان نسميه قانون التصادم او قانون التناوب في التهلكة . وهو يدل على أن كل مذهب من المذاهب سياسياً كان أو فلسفياً ، يهد السبيل لظهور ضده .

والسبب في ذلك أن في الطبيعة البشرية نزعات متضادة كالميل الى التفاؤل والتشاؤم ، والميل الى الرخاء والتعفف ، والميل الى الحياة الروحية والمادية .

فاذا سلكنا طريق نزعة من هذه النزعات ، وبالغنا في ارضائها أدى تهالكنا في ذلك الى إحياء ضدها . ان مبالغة بعض الناس في التفاؤل تدفع بعضهم الآخر الى التشاؤم ، كما ان التهلكة في محبة الجديد يوقظ في قلوب الناس محبة القديم .

وما ينطبق على تآمر الميول والنزعات يصدق أيضاً على تطور الأفكار .

فاذا انكشف للمفكر مذهب جديد بحث أولاً عن أصوله ، ثم رتبها وهذبها ، ثم بالغ في استخراج النتائج اللازمة عنها . واذا لم يبلغ هو نفسه في النتائج قام اصحابه من بعده وبالغوا فيها . حتى يجيء مفكر جديد يصعب عليه التسليم بنتائج ذلك المذهب فيعود الى الأصول وينتقدها ، ثم يصوغها في قالب موافق لنزعة الجديدة . ان المبالغة في النتائج اللازمة عن مذهب (ديكارت) و (ليبنيز) أدت الى المذهب الخيالي ، فسحت المجال لظهور المذهب التجريبي . كما ان المبالغة في المذهب التجريبي أدت الى الريبية ومهدت السبيل لظهور المذهب الخيالي .

وهكذا تدور رحى الآراء والمذاهب حول قطبين متضادين ، وينتقل ميزان الفكر من طرف الى آخر حاملاً الى كل طرف ماربجه من حركته الاولى . فكان تاريخ الأفكار مسرح يمثل عليه كل مفكر دوره ، وكأن العقل البشري لا يحب الا المآمي .

مثال ذلك ان مذهب سقراط في الأخلاق كان مشتملاً على نزعتين متضادتين أدت المبالغة في كل منهما الى ظهور مذهبين مختلفين هما السيرينائية والكليية . فأصحاب المذهب الأول كانوا يقررون أن السعادة في اقتناص اللذات . واصحاب المذهب الثاني كانوا يعتقدون ان الفضيلة في التقشف واحتقار التقاليد الاجتماعية والتحرر منها . ثم تولد من هذين المذهبين مذهبان آخران هما الايقورية والرواقية ، كان القائلون بكل منهما يتهاكمون في الدفاع عن آرائهم والرد على مخالفهم ، السابقون يضعون أساس البناء ، واللاحقون يهدمون ، وفي تهديمهم هذا اصلاح لأصول المذهب ، واستئناف لانشائه .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ايضاً رد (ارسطو) على كل من قبله من الفلاسفة حتى على استاذة افلاطون . ورد مفكري الاسلام منذ تسلمهم بالفرس واليونان على التنوية والدهرية . فقد كان ابو الهذيل العلاف و ابراهيم النظام يستهينان بالفلسفة للرد على اعداء الدين . وكان الفلاسفة انفسهم يقتبسون من العقائد الدينية بعض مبادئهم ومقدماتهم ، حتى اصبحت المذاهب الفلسفية في ذلك العهد اشبه شي . بالمذاهب السياسية ، لا بل بالأدوار المسرحية . لكل مذهب زعماءه ورؤساؤه ، كلما ظهر مذهب جديد انبرى فريق من المخالفين للرد عليه . والسبب في ذلك ايضاً ان كلام المترجمين الذين نقلوا كلام أرسطو الى اللغة العربية لم يخل من التحريف والتبديل ، حتى أثار ذلك نزاعاً شديداً بين الشارحين . وكان أقدم الفلاسفة بالشرح والتحقيق ابو نصر الفارابي وابن سينا حتى سمي الأول بالمعلم الثاني ، وسمي الثاني بالشيخ الرئيس فانتشر بهما مذهب الفلاسفة وتهالك الناس في اتباعه . فلا غرو اذا اطلق الغزالي عليها وعلى اصحابها اسم زعماء الفلاسفة وانبرى للرد عليها في كتاب التهافت ، وزعم انه كشف عن فنون ما اتخذوا به من التضليل والتخيل ، وانه برده عليها انما رد في الوقت نفسه على كلام أرسطو . وكاررد الغزالي على الفارابي وابن سينا فكذلك رد ابن رشد على الغزالي في كتاب تهافت التهافت .

ان تهافت الناس على الفلاسفة ادى الى حملة الغزالي عليهم كما أن إعجاب الناس بكتب الغزالي دعا ابن رشد الى تقدها . وهكذا لم تنزل أبداً حال الفلاسفة بعضهم مع بعض ، اذا عظم أمر أحدهم ، وأخذ الناس في اتباعه ، تصدى له فريق من المخالفين وحملوا الناس على استنكار مذهبه .

٢ - أسباب صدمة الغزالي على الفلاسفة وغابرها

ونريد الآن ان نبحث في الحملة التي شنها الغزالي على الفلاسفة ونبين أسبابها وغايتها وأثرها في تاريخ الفلسفة العربية .

أما أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة فترجع الى ما شاهده في زمانه من اضطراب الفرق وتعدد المذاهب والطرق ، وانحلال العقائد الدينية . فقد قاسى الغزالي من جراء ذلك آلاماً نفسية عظيمة ، وحاذر ان يقضي هذا الاضطراب على العقائد الاسلامية ، فتدب نفسه الذب عن حياض الدين ، وازاد ان يكون اماماً مرشداً ومصالحاً دينياً ينقذ اخوانه مما غرقوا فيه من الضلالة . فحاض في ذلك كما يقول^(١) «خوض الجسور» لاختوض الجبان الحذور» . متفحصاً عن عقيدة كل فرقة ومستكشفاً أسرار كل طائفة ، لا يغادر باطنياً الا ويجب ان يطاع على بطائنه ، ولا ظاهرياً الا ويريد ان يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً الا ويقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلماً الا ويجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته^(٢) . فألّف في الرد على مذهب التعليم كتاب المستظهرى وكتاب حجة الحق وكتاب مفصل الخلاف ، وكتاب القسطاس وغيرها وألّف في الرد على علماء الكلام كتاب الجامع العوام عن علم الكلام ، وألّف في الرد على الفلاسفة كتاب الزهافة . ولكن الفلاسفة كانوا في نظر الغزالي أشد خطراً على الدين من غيرهم لما غالب على اناس من حب كتبهم وحسن الظن في علومهم . فوهم قد أرادوا أن

(١) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص - ٦٦ طبعة مكتب النشر العربي بدمشق .

(٢) عن المنقذ باختصار ص - ٦٦

يزنوا كل شيء بميزان العقل وان يوقفوا بين الحكمة والشريعة ، فكان الدين في يدهم آلة خادمة للفلسفة حتى تفاقم أمرهم وبالغوا فيما ارادوه ، واصبحوا خطراً على الدين والاخلاق .

أما خطرهم على الدين فيرجع الى انهم اعتقدوا في انفسهم كما يقول الغزالي التميز على أتريتهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الاسلام والعبادات ، واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده ، وكان مصدر كفرهم بزعمه انهم سمعوا باسماء هائلة كسقراط وبقرات وافلاطون وارسطو وأمثالهم واطلعوا على مبالغة متبعيهم في وصف عقولهم وحسن اصولهم ودقة علومهم الهندسية والمنطقية وحكايتهم عنهم انهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، جاحدون لتفاصيل الأدبيات والملل ، معتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة فتجملوا بالكفر وظهروا التكايس في تقليد الباطل . قال الغزالي :

« ولما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هؤلاء الأغبياء ، انتدبت لتحرير كتاب التهافت رداً على الفلاسفة القدماء ، مبيناً تهافت عقيدتهم ، وتناقض كتابهم فيما يتعلق بالالهيات ، وكاشفاً عن غوامض مذهبهم التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء (١) » .

ولاشك ان المعجب بأقوال الفلاسفة في المنطق والرياضيات يظن كما يقول الغزالي ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان هي كهذين العلمين ، ثم يسمع بعد ذلك اشياء كثيرة عن كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع فيقلدهم ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم . دع ان الجهال من اصدقاء الاسلام يكذبون كل ما جاء به الفلاسفة ويقولون انه مخالف للشرع مع ان الذي يقرأ العلوم الثابتة بالبرهان لا يشك في تلك العلوم ، بل يشك في مكذبيها وبسوء ظنه فيهم .

(١) التهافت ، ص ٣ ، طبعة مصر .

وأما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع إلى أنهم أهملوا أحكام الشريعة ، فشرّبوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم أدركوا حقيقة النبوة وعلموا أن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن الاسترسال في الشهوات . فإذا ترفع الإنسان عن طبقة العوام سقط عنه التكليف ، وكشف عنه الغطاء ، وأصبح بصيراً بحكمته . وإنك لتجد بعضهم كما يقول الغزالي^(١) يقرأون القرآن ويحضرون الجماعات والصلوات ويعظمون الشريعة بلسانهم . وهم مع ذلك لا يتركون فسقهم وفجورهم ، « حتى أن ابن سينا ذكر في وصية له أنه عاهد الله على كذا وكذا ، وأن يعظم الأوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تلهياً ، بل تداوياً وتشافياً ، فكان منتهى حاله في صفاء الإيمان والتزام العبادات أن استثنى شرب الخمر لغرض التشنج^(٢) » . وفي هذا السلوك كما يرى الغزالي خطر على أخلاق الناس .

ولم تكن غاية الغزالي من نقد آراء الفلاسفة سلبية ، بل كانت غاية إيجابية . فهو لم يهدم البناء الذي أقامه الفلاسفة على أساس العقل الالينشيء صرحاً جديداً على أساس الكشف الباطني والوحي القلبي . فشك في علم الكلام ، وشك في مذهب التعليم ، وشك في الفلسفة ، وشك في العقل ، وانحلت عنه رابطة التقليد وطلب العلم اليقيني ، « وهو العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً ، لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم^(٣) » ، فوجد علومه غير متصفة بهذه الصفة . وطمع في اقتباس اليقين من الحسيات . فلما تأملها لم تسمح له نفسه بتسليم الأمان فيها ، لأن حاكم العقل كثيراً ما يكذب حاكم الحس ويخونه ويبطله . فلما بطلت ثقته بالحسيات تأمل الضروريات العقلية ، وكاد يثق بها لولا اعتراض الحسيات وقولها لعل وراء ادراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجلّى كذب العقل في حكمه كما تجلّى حاكم

(١) المنقذ ص ١٥٠ (٢) المنقذ ص ١٥٠ (٣) أيضاً ص ٦٩

العقل فكذب الحس في حكمه . ويمكن ان تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم . فالعقل يكذب الحس والحس يكذب العقل كأن هناك مأساة جدلية محزنة ، تظهر فيها العقليات على الحسيات ثم تعود الحسيات فتتغلب بجدها على العقليات . ولو استسلم الغزالي لهذا الجدل لبقى على مذهب السفسطة ، ولكانت غابته سلبية محضة . الا انه استطاع ان يخرج من الشك عن طريق الكشف الباطني والحدس الديني فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية موثوقاً بها على أمن وبقين ، لا ببداهة العقل كما فعل (ديبكارت) ولكن بنور قذفه الله في الصدر ، وذلك النور في نظره مفتاح اكثر العلوم .

وها هنا مسألة لا بد من الاشارة اليها وهي ان الغزالي لم يحمل على الفلاسفة لعجزهم في الالهيات عن الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق ، بل هدم آراءهم ليظهر عجز العقل عن الخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم انه يقول في بيان اسباب حملته على الفلاسفة انهم ما قدروا في الالهيات على الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق^(١) ، « وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق وبقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور علومهم الحسائية والمنطقية ويستدرجون ضعفاء العقول . ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقيه عن التخمين كعلومهم الحسائية لما اختلفوا فيها »^(٢) . « وان ما شرطوه في صحة مادة القياس في قسم البرهان من المنطق وما شرطوه في صورته في كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع في « ايساغوجي » « وقاطيغورياس » لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الالهية »^(٣) وهذه الأقوال تدل بحسب الظاهر على ان الغزالي يؤمن بأحكام العقل ويعتمد على البراهين المنطقية وانه لم ينتقد الفلاسفة الالعدم وفائهم بشروط البرهان المنطقي في مسائل ما بعد الطبيعة ، فأحكام العقل صادقة ، الا

(١) المقذ من الضلال ، ص (٢) تهافت الفلاسفة ، ص - ٨ (٣) تهافت ، ص - ١٦

ان الفلاسفة اسأوا استعمالها ، وخالفوا شروطها . ولو وفوا بهذه الشروط لسلموا من انتقاده اللاذع . ولكن من قرأ كتاب التهاوت وتصفح المسائل التي أوردتها الغزالي في الرد على الفلاسفة لم يشك أبداً في موقف الغزالي من العقل في علم ما بعد الطبيعة . فهو لم يحمل على الفلاسفة لتقصيرهم في الوفاء بشروط البرهان فحسب بل هاجمهم ، كما فعل ابن خلدون بعده ، لتهديم صرحهم الفلسفي من أساسه ، معتقداً أن أحكام العقل صادقة في الرياضيات والمنطقيات والطبيعات اما في علم ما بعد الطبيعة فان العقل انحض عاجز عن الوصول الى اليقين ، وسيتضح لنا هذا الأمر عند استعراض بعض المسائل التي كشف الغزالي عن تناقضها الداخلي وهي كما تدل على ان الغزالي لا يقتصر على تعجيز الفلاسفة عن اقامة الدليل وتخطيهم في البرهان فحسب ، بل تشير الى ان مسألة الصفات الالهية ومسألة ازلية العالم وابدائه ، ومسألة استحالة الفناء على النفوس البشرية وغير ذلك من المسائل ، لا توزن بميزان العقل البشري ، بل يحتاج العقل في ادراكها الى عامل آخر هو الكشف الباطني والايان القلبي والوحي الديني .

٣ - طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة

اما طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة فتشبه رد رؤساء المذاهب او زعماء الأحزاب على آراء مخالفيهم . فهو ينتقد أدلة الفلاسفة كما ينتقد الصيرفي الماهر الدراهم الزائفة . ويخرج منها الزيف وغير الصحيح من الفاسد ، حتى لقد أظهر في ذلك حدقاً لا مثيل له في تاريخ الفكر العربي . لم ينتقد الغزالي مذهب الفلاسفة انتقاداً عاماً مبهماً كما يفعل النقاد في أيامنا هذه ، بل انتقده انتقاداً عميقاً منظماً . فحدد المسائل التي خالف فيها الفلاسفة عقائد الاسلام ، فنندها واحدة واحدة ، وانتقد ما فيها من جهات الضعف . ومن اجل الرد على الفلاسفة قرأ الغزالي مذهبيهم وألف فيه كتاباً وجيزاً سماه كتاب المقاصد ، نظر فيه الباحث الذي يقرر للمسائل ويحكمها على وجهها ، غير متعرض لما فيها من حق أو باطل . والسبب

في ذلك انه لم يرض لنفسه ان يظن به الغفلة عن أصل حجة الفلاسفة ، فلذلك قررنا الى أقصى حدود الامكان ، ثم عاد الى ذلك في كتاب التهافت ، فأفرد لكل مسألة من المسائل بحثاً خاصاً . ومن قرأ كتب ابن سينا وقرأ بعدها كتاب التهافت اعجب بقدره الغزالي على عرض المسائل وايضاها . وربما كانت قراءة كتاب التهافت ضرورة لكل من أراد ان يفهم مذهب ابن سينا . انهو قد قرر حجة الفلاسفة بلغتهم باصطلاحهم وهجر في رده عليهم الفاظ المتكلمين والاصوليين ، بل اوردها كما يقول بعبارتهم في المنطق ، ودخل عليهم في ذلك كله دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت ، فقطعهم بالزامات مختلفة فالزمهم تارة مذهب المعتزلة واخرى مذهب الكرامية ، وطوراً مذهب الواقعية وجعل الفرق جميعها إلباً عليهم ، واراد ان يتفق الجميع وينظاهروا عليهم ، فعند الشدائد تذهب الأحقاد .

وطريقة الغزالي هذه تذكرنا بطريقة القديس توما الاكوييني في رده على الملحدة فهو يعرض المسألة ثم يقسمها الى وجوه مختلفة ، ويعين المطالب ثم يذكر أجوبتها ، ويجدد الشبه ثم يبين وجه الخروج منها ، ثم يورد الاعتراضات المتقابلة ويفندها . وربما كان كتاب التهافت اكمل ، اوصل اليه فن الجدل المدرسي عند العرب ، فهو اكمل من كتاب الانتصار لابني الحسين الخطيب واكمل من كتاب تهافت التهافت لابن رشد من حيث اسلوبه وفنه . والفارابي وابن سينا لم يبرزوا في هذا الفن ، كما ان ابا الحسن الأشعري لم يوفق في مقالات الاسلاميين لشيء من هذا ، لأنه اقتصر على عرض عام للآراء والمذاهب من غير ان يفصل المطالب ويجادل فيها . ومن قارن بين أسلوب الغزالي واسلوب ابن سينا اعجب بقدره الأول على التحليل والافهام . فأسلوب ابن سينا هو أسلوب الفيلسوف الموزون كل لفظ من الفاظه مطابق لفكرة معينة ، ليس فيه زيادة او نقصان . اما أسلوب الغزالي فهو أسلوب الخطيب ، او أسلوب الواعظ والمعلم تتدفق الفاظه كالسيل وتجيء مفعمة بالفكر والعاطفة . وقد تجد للمعنى الواحد عنده عدة الفاظ ،

م (٢)

وتجد للفظ الواحد عدة معان تختلف باختلاف الكلام وسياق العبارة ، وقد تبدل معانيه بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد . وليس في الفلسفة العربية كتاب بلغ من دقة الألفاظ ورشاقة الأسلوب ما بلغه الغزالي في المنقذ من الضلال والاحياء من حسن الاشارة ولطف العبارة ، اللهم الا كتاب حي بن يقظان لابن طفيل . وكثيراً ما كان الغزالي يعدل عن الفاظ الفلاسفة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه ، كما فعل في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأعانه ذلك على نشر أفكاره ، قال ابن طملوس : « غير اني عندما تصفحت كتب ابي حامد رأيت من تلوحياته واشاراته التي تكاد ان تكون تصريحاً ان له فيها (أي في صناعة المنطق) تأليف وري في تسميتها عن ان يسميها باسم المنطق . وهذه الكتب منها معيار العلم له وكتاب محك النظر وهو دون المعيار وكتاب القسطاس المستقيم ومقدمة المستصفي في الفقه ، ومنها مقدمة المقاصد - فهذه الكتب التي ألفها ابو حامد هي من صناعة المنطق ، لكن ابا حامد غير اسماء الكتب واسماء المعاني المستعملة فيها ونكب عن الفاظ أهل الصناعة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه . وما فعل هذا كله الا حذراً وتوقياً من ان يجري عليه ما جرى على غيره من العلماء الذين اتوا بالغريب وغير المؤلف من الامتحان والامتحان . فصانه الله عن ذلك بلطفه وبما اعطاه من بديع الخيلة . فانه عاشر جميع الاصناف وولج معهم الولوج الذي شاركهم به المشاركة التامة حتى صار اماماً في كل صنف ورئيساً في كل مذهب» (١)

فالغزالي لم يستعمل لغة الفلاسفة واصطلاحهم الا في كتاب المقاصد وكتاب التهافت أما في كتبه الأخرى فقد غير اسماء المعاني ، وفضل الألفاظ المألوفة عند أهل زمانه على الألفاظ الفنية الغريبة . ولولا ذلك لما أقبل الناس على مطالعة كتبه ولما اعجبوا بما فيها من حسن الترتيب وجودة النظام والتبويب .

(١) ابولحاج يوسف بن محمد بن طملوس ، كتاب المدخل لصناعة المنطق ، طبعة مجريط ١٩١٦ م ص ١٣

٤ - موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة

ولكن ما هو موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة ؟
لقد أشار الغزالي في كتاب التهافت الى ان الخلاف بين الفلاسفة وغيرهم
انما يرجع الى ثلاثة أقسام :

١ - قسم يرجع النزاع فيه الى الفاظ مجردة كتسميتهم صانع العالم جوهراً
مع تفسيرهم معنى الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع اي القائم بنفسه الذي لا يحتاج
الى مقوم بقومه . ولا مجال لابطال هذا في نظره لأن المعنى اذا اتفق عليه في
الذهن يرجع الكلام في التعبير عنه الى اللغة والاصطلاح .

٢ - والقسم الثاني من هذه المسائل لا يصدم اصلاً من أصول الدين كالعلوم
الرياضية والمنطقية فليس شيء منها يتعلق بأمر الدين نفيًا وإثباتًا . وهي أمور
برهانية لا سبيل الى مجادتها . ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين
قد جنى على الدين وعلى نفسه معاً .

٣ - والقسم الثالث يشتمل على المباحث الالهية التي تصدم أصلاً من أصول
الدين تذكر الغزالي منها في كتاب التهافت عشرين مسألة غلط فيها الفلاسفة
فبدعهم في سبع عشرة مسألة و كفرهم في ثلاث هي القول بقدم العالم ، واقتصار
علم الله على الكليات دون الجزئيات ، وانكار حشر الأجساد .

لا يتسع المقام الآن لاستعراض جميع هذه المسائل ، ولو أردنا استقصاء مسألة
واحدة منها استقصاء تاماً لاحتجنا الى مقدمات طويلة من فلسفة ابن سينا والارابي .
فلنتصر اذن على الاشارة الى بعض القضايا التي تدل على ان الغزالي قد وفق
في تقده لوضع اصول جديدة للفلسفة عامة جديدة . وهذه القضايا التي نريد
ذكرها على سبيل المثال هي مسألة المعرفة ، ومسألة العالم والزمان والمكان ،
ومسألة السبية .

جميل صليبا

يتبع :

آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٥٢٢ - ٥٦٣٠ هـ)

١ - كلمة

تكوّنت في العراق امارات عديدة نالت مكانة في التاريخ . وأغلبها لم تكسب ثقة الشعب ولا حصلت على الاعتراف المطلوب في الادارة أو في خدمة الحضارة والعلوم والآداب . والامارات الصغيرة لا يتغرض لذكرها أحياناً بأكثر من العلاقات المهمة الخاصة بالدول الكبرى ، مما أدى الى اغفال أعمالها الداخلية وأوضاعها الذاتية وبذلك صعب البحث لقلّة وسائل الوصول الى حقيقة التاريخ لهذه الامارات وتفاصيل حياتها .

وان هذه الامارة من تلك الامارات الصغيرة تكوّنت في اربل سنة ٥٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م وكانت أقطعتهم دول الأتابكة في الموصل ايام عماد الدين زنكي (٥٢١ - ٥٤١ هـ) لأحد امرائها (زين الدين علي كوجك) . فصارت تابعة لها مدة . ثم تطورت بها الحالات فتابعت (الدولة الأيوبيه) في الشام ، ثم مالت الى (الخلافة العباسية) لما رأّت من جفاء الأيوبيين ، فعدلت عنهم . تقلبت بها الأوضاع السياسية في أطوارها كلها . وهكذا كانت في علومها وآدابها تابعة لهذه الدول . فلم يطرأ عليها فتور ، ولا خلل فعاشت الى رمضان سنة ٥٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م ، فبلغت عمراً تجاوز المئة سنة تمكنت في خلاله من التوجيه السياسي والاجتماعي والثقافي ، وولدت اتصالاً سياسياً وعلمياً بالأقطار الاسلامية العديدة من عربية وغير عربية ، وأحسنّت الادارة ، وقامت بمشاريع خيرية مهمة نالت

- ٤٠٤ -

بها مكانة من نفوس الشعب ، وبقي ذكرها مردداً على الألسنة وفي بطون التواريخ ، لهج به النقاصي والداني ، نالت من سمو المكانة ما لم تبلغه الامارات التي نالت على إربل قبلها أو بعدها . . .

وربما زاد ذكرها وفاقته غيرها من امارات كبيرة أو ددل شغلها عن الأمر الأهم ما شغل من آمال خسيصة قضتها في حروب ، أو ألهتها الاضطرابات من جراء سوء التدبير ، ومن المغامرات التي لا طائل تحتها .

وهذه الامارة لا تزال آثارها شاخصة للعيان ، جلييلة في ماهيتها وفي أثرها وتأثيرها ، وصلت الى أقصى ما استطاعت ، فكانت في كل صفحة من صفحاتها تدعو للالتفات ، وتستوقف الذنار ، وتستحق التدوين في عامة أمورنا حتى في علاقاتها الخارجية بل ان هذه العلاقات مدونة اكثر مما هو خاص بأصل الامارة ودخيلتها . لا سيما أيام آخر امرائها (مظفر الدين كو كبري) سارت من أول نشأتها في طريقة مثلى التزمتهما . واستمرت في تكامل وعظمة حتى أيامها الأخيرة . لم تدع لتطرق الفساد اثرأ ، ولا لسوء الادارة مجالاً ولم تتسرب اليها الأهواء ، ولم بداخلها الغرور وأمل الاستيلاء . وانما اعتبرت استثمار المملكة واستغلالها من خير الوسائل وأجلها مقرونة بحسن الادارة ، وجليل العمران ، فأخذت بنصيب وافر مما غفل عنه كثيرون أعمام الجبل أو الحرص والطمع . . .

وبهنا ان نعلم عن هذه الامارة ما كان من أمرها مجموعاً ، وندون ما عرف من حياة ، ومن اتقان عمل بقدر ما أمكن العثور عليه من الوثائق ، وما سمحت به النصوص التاريخية . وكان امراءها تعاهدوا على الصلاح والتزموا الاصلاح ، وتعاقدوا على الخير فضرَبوا رقماً قياسياً للادارة الحققة ، والسياسة القويمة حتى جاءت أيام (كو كبري) ، فظهرت اكثر ، وبدت أوضح .

ولم يكن خيرهم مقصوراً على أعمالهم لأنفسهم أو لمدينتهم ، بل تجاوزوها فخدموا الاسلام في جهادهم ، ورعوا الثقافة ببذلهم للمدارس ، وبالصرف بسخاء لاتصال العلوم والآداب ، فنالت هذه الامارة النخز والأجر ، وعاشت بهناء واطمئنان

مرغوباً فيها من الأهلين ومن الخارج ، فكانوا في ارتباط بالعلماء لمختلف الاقطار . كانت هذه الامارة في الأصل إقطاعاً كأمثالها من امارات عديدة ، تولت إربل أيام الأتابك عماد الدين زينكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م ، ودامت على الولاء والمؤااة للأتابكة من أسرته الى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م وفي التاريخ المذكور مالت الى (الدبلة الأيوبية) . وبقيت على الولاء لها محلصة الاخلاص كله ، لم تلعب بها الأهواء الى سنة ٦٢٧ هـ . ولما رأّت من حكم الملك الأشرف^(١) ما رأّت من جفاء وصدود ، بل من اتفاق بينه وبين بدر الدين لؤلؤ على الوقعة بها وعزم بدر الدين على أخذ اربل منها مالت الى الخلافة العباسية ، وذهب مظفر الدين كوكبري في المحرم سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م الى بغداد بعد أن استنجد بالخليفة المستنصر بالله ، فنهى عن التدخل في أمره ، ومن ثم انتمى اليه .

وفي خلال ادارة هذه الامارة لم تدع مجالاً للاطلاع ان تحكم ، بل كانت في بقظة تامة وانتباه زائد لما كان يجري في العلن أو الخفاء فلم تقصر في إعداد العدة للطوارئ وإنما كانت على استعداد لكل ما يتوقع . وفي أيام انقيادها لحكم الأتابكة وتوسع ادارتهم كانت تستخدم قوة جيشها لمصلحة الأتابكة ، ولغاية التمكن من القضاء على حكم المجاورين فكان عملها كبيراً ، فالارتباط مشهود في السياسة العامة ، وملحوظ دوماً في عهد الأتابكة ؛ ونعرف درجة ذلك في الاتصال بدولة بني أيوب ، ثم بالخلافة العباسية .

من الضروري معرفة ذلك ، وإدراك علاقته بالدولة السلجوقية ، وباخلافة العباسية والاكتنا بعيدين عن الاطلاع على كنه هذه الامارة والاحاطة بموقعها ، أو غافلين عن مجرى الأمور في التاريخ العراقي والاسلامي ومياسته الخارجية .

وهذه المعرفة لا تؤدي الى الهدف المطلوب حتى نعلم سياسة اربل الداخلية وادارتها

(١) تلك الرما سنة ٥٩١ هـ - ١٢٠١ م وكذا حران ، وانتمى اليه بدر الدين لؤلؤ مما دعا

الى أن يميل كوكبري الى المظفر والظفر غازي : وهكذا توترت العلاقات .

الحلية ودرجة علاقتها بالاهلين عسكرياً وادارياً وثقافياً ، ومقدار ما أسدى
أمرؤها من خدمات متصلة باربل مباشرة .

تحتاج كل هذه الى استعراض الوقائع وتثبيتها ، وهي مبعثرة هنا وهناك في
طيات كتب التاريخ ، فمن المحتم علينا أن نثيرها ، ولا نبالي بالصعوبات ونبذل المستطاع
في تنظيم هذه الجهود ، ونقدم ما يتجدد عندنا من المعرفة ليضاف ، فتتجلى الحالة
بأمثلة لا تستغني بالموجود بل تتطلب الاكمل والكمال .

وإذا كان مجرى الحوادث لا يدرك الا من الوقائع الثابتة والاستعانة بها ليؤدي
الأغراض المطلوبة اشارة أو صراحة فإن الاستكثار منها ، ومراعاة الحالة المشهودة
والوضع الجغرافي مما يؤدي الى معرفة القدرة التي كسبتها هذه الامارة من ضبط
الأمر فتظهر الادارة الحكيمة والسياسة المستقيمة التي بلغتها .

ولا يكفي هذا وحده ، وإنما نحتاج أكثر الى ما يعين أوضاع الدول الاسلامية
في حالاتها السياسية نحو الامارات ، ونحو بعضها . وليس لدينا الا ما يلمحه التاريخ
مقروناً بالوضع المشهود ، فنرى الصعوبة كبيرة والمهمة شاقة . وربما كان التصدي
لها تعرضاً لما يعد عملاً متعباً جداً .

وانا في هذه الحالة استنطقنا نواحي عديدة أمثال ما ذكر . ومن أهم ما هنالك
العشائر وما فيها من طاعة ، وما يبدو من أوضاع جغرافية تفسر الحوادث ومثل
هذه لا تدرك بسهولة ، فلا تنفي الوقائع بالحاجة اذ قد تأتي من جهة واحدة ،
ويتخللها اعلانات وتهويلات تتعلق ظاهراً بالخدمة العامة وينطوي باطنها على آمال
ونيات تنزع الى الاستيلاء والتحكم ، أو اختلاق معاذير لا أصل لها ، فتظهر في
العلاقات الخارجية . وهنا الانتباه واليقظة .

نرى المثبطات كثيرة في الوقوف على مثل هذه الأحوال وادراك كنهها ،
والخذلان بين ، تكاد تكون القدرة مفقودة . ولعل في هذه النبذة ما يكون
أصلاً للتوسع فيضاف ما أغفل أو أشمل فيتوالى التبعية العلمي ليكمل الغرض التاريخي .
وهذه الكلمة نتيجة إلهام وقائع ، ومجاري تاريخية تعين مجال في الخاطر ،

وما رغبتنا في بيانها من خلاصة المطالعات في تكون هذه الامارة ، ودوامها ،
 واقتراضها ، أو معرفة سياستها الداخلية والخارجية حتى صارت في طيات التاريخ ،
 ففي حياتها هذه غرابة وفي ادارتها قدرة التمكن من ناصية الأمور ، ودوام حياتها
 من أغرب الفرائب بين دول عديدة لها آمالها وأمانها ، وقد ندرك نياتها من
 اتفقاتها ومعاهداتها وما طرأ على هذه الامارة من جرائها ، وللمجاورة دخل في
 الايفاح ، وللعداء طريفة في الاظهار والاعلان . والنزعات لا تحصى ، والتقصير
 في التدوين لا ينكر . والعلوم والآداب نالت مكانة ونجحت نجاحاً باهراً لا يقل عما
 سبقه ، زادت في المصانع الخيرية وأعمال البر ، وقوت ما استطاعت من علاقات ثقافية .
 نحن في حاجة عظيمة الى التنظيم والاضهار لتاريخنا هذا وأمثاله . جعلت (التاريخ
 السيامي) قسماً ، و (التاريخ العلمي ، الأدبي) قسماً يتلوهما ما يتعلق بالحضارة والعمران
 جعلناه قسماً آخر بعنوان (تاريخ المجتمع) وبعد ذلك كله أنهينا القول بكلمة ختامية .

٢ - التاريخ السياسي

١ - السياسة الدولية

عاشت الدولة العباسية بصولة وقوة من سنة ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م ودامت مدة بلغت
 بها أوج الكمال ، ثم تناوبتها أحداث فلت من غريبها وخضت من شوكتها بحيث
 اضطرب فيها جبل الأمن داخلاً وخارجاً واستمرت على ذلك حتى قضى على
 استقلالها بتغلب (البويهيين) ودخولهم بغداد في ١٢ جمادى الاولى سنة ٣٣٤ هـ -
 ٩٤٥ م . وأزيل حكم هؤلاء من بغداد بعد مضي أكثر من مائة سنة في ٢٥ رمضان
 سنة ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م بتغلب (دولة آل ساجوق) ، فحلت محلهم . وهذه الدولة
 ظهرت بقوة فائقة سيطرت بها على الخلافة وعلى أنظار عديدة . ولم تقنع بالطاعة
 وحدها ، ولا اكتفت بالاذعان بل أرادت ان تكون هذه الامارات خالصة لها
 فأبدلت اماراتها بماليك من الترك أو امراء منهم وبينهم من تسمى بـ (الأتابكة)
 مثل (الخوارزمية) ، و (أتابكة المرسل) ، و (أتابكة آخرين) ، فنجوا الامارات

الأولى وأقصوها عن الحكم ، وصار أمر البلاد بأيديهم رأساً فلم يقنعوا بالسلطة العامة ، بل انتزعوا الممالك ، وقضوا على اماراتها ، فصارت في حكم أمرائها اقطاعاً لهم . جروا على ذلك . وكادوا ينجحون في التسلط على الممالك واماراتها ويسيطرون على البلاد وأن يكونوا بآمن من الفوائل لو لا ان الأمور لم تجر دائماً طبق المراد ، وانما تولد الشقاق في نفس الأسرة للملكة فداخل أفرادها الطمع ، وامرائها الاثرة ، فتطرق اليها الخلاف مما ادى الى التطاحن والخصام ، والهوى عن السيطرة المنشودة أو التمكن من الادارة بتلك المهمة .

وشعر أهل الاقطاع من الأتابكة بقوة ، وجلّ ما عملوا انهم ناصروا بعض الأمراء لتتمكن واستعان هؤلاء الأمراء بهم لصد غائلة المطالبين بالسلطنة ، أو الميل الى الثائرين من الأسرة المالكة ، فولد ذلك نخوة في نفوس الأتابكة ، فأضمرُوا الانفصال عن أصل الدولة . شعروا بأن الضعف استولى عليها ، وكان هؤلاء الأتابكة قوة يدها زمام الأمر ، فتظاهروا بالتابعة ، ولكنهم انسلوا منها ، وهكذا مضوا في طريق الاستقلال ، ومن أشهر هؤلاء (atabike الموصل) ، وان اماره اربل كانت تابعة لها . والخلافة العباسية حاولت الاستفادة من ضعف الدولة السلجوقية وانشقاقها على نفسها ، وهي تحرق الارم على هؤلاء المتغلبة الذين سلبوها استقلالها ، ولكنها كانت عاجزة لا تملك من القوة ما تستطيع عمله ، وبغداد وحدها لا تكفي ، وهي أيضاً في تشتت آراء ، واضطراب أوضاع ، وليس في وسعها رفع التغلب ، وقد حرمت الوسائل . واذا كانت قد استطاعت في أيام المقتفي رفع التسلط عن بغداد سنة ٥٤٧ هـ ١١٦٢ م فلم تقدر أن تقاوم الأتابكة ، ولا ان تسترد ما تغلبوا عليه ، ولم تتمكن حتى من اربل ، أو من دقوقا ، أو تكريت ، أو شهرزور ، أو الحلة . . . ولم تقدر ان تمس الأتابكة في الموصل ، ولا الأيوبيين في الشام وانما تمكنت من بعض الأطراف .

وفي هذه الحالة من ضعف آل سلجوق ، ومن الخلافة تيسر للأتابكة أن يعيشوا فيهددوا الامارات الصغيرة المجاورة والخلافة معاً حتى بعد انقراض الدولة السلجوقية

سنة ٥٥٩٠ هـ - ١١٩٤ م . ولم يكن في مقدور الخلافة أن تخضع أتابكة الموصل ولا أتابكة اربل ، بل كانت مهددة بالخوارزميين ، فصار هؤلاء يحاولون ان يخلوا منها محل الدولة السلجوقية ابان تغلبها مما ولد لها مشاكل بسبب هذه المشادة التي نهكت الدولة العباسية ، ونفرت الأهلين منها أيام الخليفة الناصر خاصة . عاشت دولة الأتابكة ولم تخش الدولة العباسية ، ومثلها دولة الأيوبيين . وهكذا كانت الامارات المشتقة من الاتابكة و (امارة اربل) إحداها .

وموضوع بحثنا (امارة اربل) ، وهذه لم تتمكن الخلافة من اخضاعها ، ولا دولة الاتابكة في الموصل استطاعت القبض على قيادها . ولا الدولة الأيوبية قدرت أن تتسلط عليها ، بل كل واحدة كانت تجتذب ودتها ، وترغب في أن تميل اليها لتعديل الكفة ، والاحتفاظ بالموازنة . وكانت سياستها التهديد للواحدة بالأخرى على الرغم من ضعفها بل برهنت مراراً على قدرة في جيشها في واقعة (حطين) ، وفي حادث هجوم أتابكة الموصل عليها أيام مجاهد الدين قايماز وانفصاله من اربل ، وفي حادث قطعها العلاقات من الدولة الأيوبية

ويصح أن تعتبر أدوارها التاريخية :

- ١ - تابعيتها لأتابكة الموصل . من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٥٧٨ هـ .
- ٢ - انقيادها لآل أيوب . من هذا التاريخ الى سنة ٦٢٧ هـ .
- ٣ - طاعتها للخلافة العباسية . من ذلك العهد الى سنة ٦٣٠ هـ .

والنصوص التاريخية تعين أوضاعها . كانت تحسب بعيداً وتفكر في أمرها تفكيراً عميقاً ، ولم تترك شؤونها للمتدبرات ، أو لتلاعب الأهواء بل كانت المسيطرة على الخالة الحاكمة على الموقف .

وفي هذه كلها ما يعين وضعها السياسي بين (الدول الاسلامية) ويلتمس في حسن التدبير ، والالفت الى تنظيم الحالة المالية في ميزانيتها . وفرت مبالغ مهمة للطوارئ ، وأخرى للجيش ، وهكذا للمشاريع الخيرية وسائر الأمور . ولم تقف في حالاتها عند ذلك بل راعت أمر المسلمين ، وقامت بالمصالح العامة من مساعدات

حربية ، وفك أمرى ، ومشاريع ثقافية ، وصلات علمية ، ومعاهد دينية . ولعل
في إلهام الوقائع ما يبصر أكثر من هذا الاجمال فتنبلي أمورها التاريخية واضحة
لاخفاء فيها ولا إيهام .
ولا شك ان تاريخ هذه الامارة يستحق البحث من وجوه ، وأرجو ان يكون
هذا نواة صالحة للتوسع .

٣ - آل بكنكين

(امراء هذه الأسرة)

ان السياسة الخارجية تظهر جلياً في هذه الامارة وعلاقتها بالدول ، وكذا
الارتباط بالأهلين وأمر ادارتهم داخلياً وهذه كلها لا تتمين الا في وقائعها
المعروفة وما قامت به من أعمال . وكل ما نعلمه ان هذه الامارة كانت إقطاعاً
من أتابكة الموصل في شهر رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م فقامت أعمال
حربية وسياسية وثقافية .

ظهرت قدرتها فيما حكته من أرض ما بين الزابين المسماة بـ (صهران) أو
(صوران) من مملكة اربل . وفي اقطاعها ، ومتابعتها للموصل ، ثم انقيادها للدولة
الأيورية فالخلافة العباسية مما توضحه الحوادث التاريخية والشؤون السياسية في تفسير
هذا الميل ، ويتخلل ذلك بعض الأوضاع الخارجية والداخلية معاً .

وفي امارتهم هذه أرضوا الأهلين ، فلم يكونوا عتاة جبارين ، ولا أرهقوا اربل
أكثر مما تطيق ، وانما عاملوها بالحسنى ، وراعوا رغبتها ، وولدوا فيها ثقافة بلغت
من الشهرة مبلغاً عظيماً ، فصارت مطمح أنظار العلماء ، ومحط رحال أهل الثقافة ،
وآثار هذه الامارة في اربل لا تحصى . وبتعين ذلك بالكلام على كل واحد من
امرائهم حتى نختتمها بكبير هذه الأسرة وآخرهم مظفر الدين كوكبري . . .
وهذه قائمة امرائهم .

١ - زين الدين علي كوجك بن بكنكين ولي اربل سنة ٥٢٢ هـ .

٢ - مظفر الدين كوكبري . حكمها من سنة ٥٦٣ هـ حين وفاة والده .
٣ - زين الدين يوسف بنالتكين بن علي كوجك . صار أميراً مكان
أخيه سنة ٥٦٧ هـ .

٤ - مظفر الدين كوكبري للمرة الثانية والأخيرة . وليها بعد وفاة أخيه
سنة ٥٨٦ هـ ودام حكمه الى ان توفي في رمضان سنة ٦٣٠ هـ .

وتهمنا معرفة تاريخ هذه الامارة باعتبارها جزءاً من تاريخ العراق لاسيما
وقد حصلت على مكانة ذائعة . وكان ابن المستوفي وضع تاريخاً لها سماه (نباهة
البلد الخامل بمن ورده من الأمائل) لم يصل اليها منه إلا ما علم أخيراً من وجود
جزء منه في لندن . وعرف بعض النقل منه مفرقاً هنا وهناك . وآخرون خصوه
أو كتبوا تاريخ اربل من لم تصل اليها تواريخهم^(١) .

وغالب المراجع الأخرى تتعلق بالموصل ، أو بالشام وأندلسها ، وبالخلافة العباسية
وصلتها بمؤرخيها ويغلب على هذه الشمول ، أو الخصوصية بدولة الأتابكة ، أو بدولة
آل أيوب . وفي هذه تعرض لبعض المطالب . وقبلنا نرى من الحوادث ما ولد شهرة عامة .
لم تصل اليها الا نتف من هذا التاريخ مبدة . وغاية ما يقال فيها انها (تاريخ
علاقات) ، فالتقص فيها ظاهر ، وقد رجعنا اليها ، والى النقود المضروبة ، والمدونات
العديدة . مزجناها بمشاهدات الأوضاع الطبيعية أو الجغرافية ، والعشائر والأهلين .
والآثار الأدبية ، والعلمية . نجتمعنا ما يصلح من تاريخ هذه الامارة بالرجوع الى
الأتابكة وتاريخهم في العيد الأول ، والى الدولة الأيوبية في العيد الثاني ، والى
الخلافة العباسية ومدوناتها في الزمن الثالث من أدوار حياتها . فتكونت جملة
صالحة مما يأتي النقل منه في حينه . وعلى كل حال كانت هذه الامارة جديرة بالبحث .

٢ - زين الدين علي كوجك

هو ابن بكتكين ، أول أمراء هذه الأسرة باربل . كان استولى على اربل

(١) كشف الظنون - تاريخ اربل . والاعلان بالتاريخ ص ١٢١ .

عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ^(١) فجعلها اقطاعه . وعرف بـ (كوجك) لأنه كان صغير الجسم . أصله من التركان من ممالك قسيم الدولة والد عماد الدين . وفي الغالب لم يعرف عن الامارات الصغيرة مثل اربل ، ولا ذكر عن أمراءها ما يشفي غلة . فاذا علمنا بعض أسماء أمراء اربل مثل أبي الهيحاء ، وابنه الأمير فضل^(٢) فلا نعرف أكثر من ذلك . ولما قتل قسيم الدولة سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م ما كان عماد الدين بلغ العشر سنوات . وكذا كان زين الدين علي كوجك صغيراً . فتقلبت الأحوال بعماد الدين زنكي ، واجتمع اليه اعوان والده حتى دخل الموصل والياً في ١٠ شهر رمضان سنة ٥٢١ هـ - ١٢٢٧ م فأسس امارة الأتابكة في الموصل وفي رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م استولى على اربل ، فصارت اقطاعاً لزين الدين وأصبح تابعاً لامارة الموصل .

تحولت الأحوال بهذه الامارة وتغير وضعها فمالت للأبويين وتم الاتفاق بينهما في ذي الحجة سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨١ م وبعدها في سنة ٦٢٧ هـ انخرقت عن الدولة الأيوبية ، وفي المحرم سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٥٠ م ألحقت بالخلافة العباسية حتى انقرضت هذه الامارة في رمضان سنة ٦٣٠ هـ بوفاة مظفر الدين كوكبري . وزين الدين علي كوجك أرضى دولة الأتابكة لما قام به من خدمات فحصل منها على اقطاع اخرى مثل الهكارية (العادية وأنحاءها) ، وعقر الحميدية وحران وتكريت وشهرزور . وتقدر مكانة هذا الاقطاع في الخدمات التي أسداها بل اعتقد ان دوام ملك الأتابكة وتوسعه مدين لاربيل وحسن ادارة المترجم فيها ، والجيش الذي استخدمه في القضاء على الامارات الصغيرة . وكان رجال عماد الدين زنكي أصحاب مواهب لم يتهبأ مثلهم في دولة الاقويت ادارتها ونشطت في حروبها ، واكتسبت سياسة مكيئة في قوام حكمها .

(١) كتاب الروضتين طبعة سنة ١٢٨٧ وادي النيل بمصر القاهرة ج ١ ص ٣٠

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ ص ٨٧ طبعة جامعة برنستون الولايات المتحدة .

وتجلت قدرتها . ومن أبرز رجالها نصير الدين جقر بن يعقوب ، كان نائب عماد الدين زنكي . ولما قتل في ذي القعدة سنة ٥٣٩ هـ - ١١٥٥ م استقر رأي الأتابك في ان يكون (زين الدين علي كوجك) نائبه على الموصل ، ولم يتعرض لاقطاعه في اربل وغيرها ، وبقيت هذه الاقطاعات في أيدي نوابه .

قال ابن الأثير في أتابكة الموصل :

« استقر زين الدين وتمكن ، وسلك بالناس غير الطربق التي سلكها نصير الدين ، فاطمان الناس وأمنوا ، وازدادت البلاد معه عمارة . » ١ هـ

وقال الفارقي في تاريخه :

« كان قد قتله غلامه في ٨ ذي القعدة من السنة ورتب في الموصل زين الدين علي كوجك وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والأقساط فلما ولي زين الدين أزال ذلك جميعه فأحسن الى الناس والرعايا وجميع البلاد ورأى الناس منه كل خير الى ان مات » ١ هـ (١) ومدح ابن القلانسي سيرته على خلاف ما جاء في تاريخ الفارقي .

دام استقرار زين الدين علي كوجك مدة حياة عماد الدين زنكي ، وبعد ان قتل زنكي في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ ١١٤٦ م تمكن زين الدين في الدولة الأتابكية تمكناً عظيماً (٢) . أقره الأتابك سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ - ٥٤٤ هـ) في نيابة الموصل ، وزاد في اقطاعه كما كان ذلك ايام والده ، ولم يتغير شيء من الوضع . وكيف يتغير وكان قد أزال كل تدمر كان في نيابة سابقه ولو تجنب كل صاحب سلطة مما يتدمر منه من سلف لبلغت الادارة عندنا حدّاً لا تقا . فلم يختل أمر في الادارة ، ولا طراً فساد .

ولا يهنا التوسع في ادارة دولة الأتابكة ، وانما المقصود أن نعرف ادارة اربل في أيام هذه الامارة والا فان أعمال المترجم الخيرية في الموصل لا تنكر ،

(١) تاريخ أبي يعلی حمزة ابن القلانسی - هامش ص ٢٨١ وفضل ابن القلانسی قتله نصير الدين جقر .

(٢) تاريخ الأتابكة في الموصل ص ١٢٧ وفي ابن خلكان توفی عماد الدين زنكي في ١٥ ربيع الآخر .

واعماله مشهودة، وهي مشرفة له وقدوة لمن جاء بعده ومن أهمها مدرسته، كما انه قبض على زمام الأمور، وأبدي قدرة تضاءلت دونها غيرها، فاكتسب الثقة التامة من الأهلين والأتابكة معاً. ورافقه التوفيق في ادارته ونال التوجه بكل معناه. وهذه لم تمنع ان يلتفت زين الدين علي كوجك نحو اربل، ومراقبة نوابه فيها. فكل منهم أراد ارضاءه في نيابته في الطريقة التي مشى عليها في الموصل، فحاول هؤلاء النواب ان يتخذوا هذا الأمير قدوتهم في ادارة اربل، أو رسم لهم ما أراد فنفذوا حرفياً، وقاموا بمثل ما قام به هذا الرجل الكامل من اعتدال وتبصر وعمل نافع.

دام في اخلاصه لسيف الدين غازي الى ان توفي في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م، فولي أمر الأتابكة بعده اخوه قطب الدين مودود (٥٤٤ هـ - ٥٦٥ هـ) فأبقاه على ما كان عليه. وزين الدين مدير دولته وصاحب رأيه، فكان نعم المدير والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة^(١).

وهنا نقول ان ادارة اربل ظهرت في نوابه وحوادثه الأخرى البارزة.

١- انه سار بجيش على بغداد لمناصرة السلطان محمد بن السلطان محمود من رجال الدولة السلجوقية. وكان هذا الحادث سنة ٥٥١ هـ - ٥٥٢. وفي حربه هذه كان يميل الى الدولة العباسية، ويناصرها باطنياً، ولم يقصد الوقعة بها، وجرت مراسلات بينه وبين الدولة العباسية أظهر فيها ميله اليها^(٢).

بدل على ذلك ما جرى من الاحتفال به عندما قصد حج بيت الله الحرام سنة ٥٥٨ هـ، فمر ببغداد وكان قد نهبه كثيرون من جراء ما وقع من حرب

(١) ابن خلكان: طبعة سنة ١٢٧٥ هـ يولاق مصر. (٢) التفصيل في الكامل

لابن الأثير ج ١١ ص ٨٦ طبعة بولاق وابن القلانسي ص ٣٢٣ وفي أخبار الدولة السلجوقية المسمى (زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) لعبد الدين الحسيني يتم تصحيح محمد اقبال مدرس اللغة الفارسية في فنجاب طبعه في لاهور سنة ١٩٣٣ م.

بغداد ، حذره اصحابه من جراء مناصرته الملك محمد السلجوقي . فلما وصل الى بغداد
أكرمه الخليفة المستنجد بالله العباسي ، واجتمع به وأمر بالخلع عليه . وفي هذا
الاحتفال أبدى أموراً كانت محل الثفات الخليفة والزيادة في انعامه .

وذلك انه لما لبس الخلعة وكانت طويلة عليه لقصره مديده الى كمرانه واخرج
ما شدد به وسطه ، وقصر الحبة ، فنظر الخليفة المستنجد اليه ، فاستحسن ذلك منه وقال
ان عنده مثل هذا يكون الأمير والجندي لا مثلكم . فلما دخل قبل بده ثم خرج
من عنده بعد ان حادثه بالتركية وكان المستنجد يتكلم بها جيداً ، فلما خرج نظر
اليه المستنجد من شباك وقد اخرج شيئاً من السيف الذي انعم به عليه من الديوان
فلم يره جيداً ، وهو يومي برأسه يعني انه غير جيد ، فأرسل اليه سيفاً آخر ،
وقال للرسول : - يقول لك أمير المؤمنين ذلك السيف يترك ، وهذا تقاقل به
اعداء امير المؤمنين واعداء المسلمين .

فرد وجهه وقبل الأرض ، وتقلده . ثم مضى في طريقه الى الحج ، فأحسن الى
الناس في الطريق وكثر الصدقات (١) .

٢ - في سنة ٥٥٥ هـ كان قد سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ، وكان
زين الدين معه ليمتولى السلطنة ، فرأى في طريقه ما رأى من خلل في ادارة الجيش
وتسلط الأمراء ، فأبدى حكمة وعقلاً في الانسلاال والرجوع لما عرف من نتائج
تؤدي اليها الحالة (٢) .

٣ - في سنة ٥٥٩ هـ ارسله قطب الدين مودود منجداً الملك العادل نور الدين
وكان قد كاتب نور الدين الأطراف ، وكاتب العباد والزهاد المنقطعين فذكر
لهم ما يلقي المسلمون من الافرنج ، وما ينالهم من القتل والامر والنهب ويستمد
منهم الدعاء ، ويطلب منهم ان يحثوا المسلمين على الغزاة ، فأمدوه للبياج الحاصل
في الممالك الاسلامية من جراء ما قام به هؤلاء الزهاد والعباد من دعوة ، فحذر

(١) الدولة الانابكية ص ٢٠٧ . (٢) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣ .

المملك والأمرء ان يفسد عليهم الأمر في ادارتهم ، فكانت (واقعة حارم)^(١) .
 ٤ - في سنة ٥٦٣ هـ سار زين الدين الى اربل ، وسلم جميع ما كان بيده من
 البلاد والقلاع الى الاتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحران ، وقلعة عقر
 الحميدية ، وقلاع الهكارية جميعها ، وتكرت وشهرزور .

وسبب ذلك انه طعن في السن واصابه عمى وصمم ، فتنازل عن كل ما في
 يده من اقطاعات وأبقى اربل وحدها بيده .

٥ - في السنة التي ذهب بها الى اربل توفي في ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣ هـ -
 ١١٦٨ م . وكان استولى عليه الهرم ، وضعفت قوته . وكان في اربل مرقد
 الأخير^(٢) . ولا يزال معروفاً .

٦ - حياته الخاصة : كان خيراً عادلاً ، حسن السيرة جواداً ، محافظاً على حسن
 العهد ، واداء الامانة ، قليل الغدر بل عديمه . وكان اذا وعد بشيء لا بد له من
 ان يفعله وان كان فعله خطيراً . وكان حاله من أعجب الأحوال بينما بيده منه
 ما يبدل على سلامة صدره وغفائه حتى يظهر منه ما يبدل على افراط الدكاء وغلبة الدماء .
 قال ابن الأثير : « بلغني انه اتاه بعض اصحابه بدين فرس ذكر انه نفق له
 فأمر له بفرس فتداول ذلك الدين ١٢ رجلاً كلهم يأخذ فرساً ، فلما احضره
 آخرهم قال له اما تستحيون مني كما استحي منكم قد احضر هذا الدين عندي
 ١٢ رجلاً وانا اتفاؤل لتلا يخجل احدكم اتظنون انني لا اعرفه بلي والله انما اردت
 ان يصلحكم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتركوني وامر له بفرس آخر ٠٠٠ » اهـ
 وكان يعطي كثيراً ويخلع عظيماً ، وكانت له البلاد الكثيرة ، فلم يخلف شيئاً
 بل نفذ جميعه في العطاء والانعام على الناس فكانت يلبس العليظ ويشد على
 وسطه كل ما يحتاج الجندي اليه من سكين ودرفش ومطرقة ومسله وخيوط
 ودسترك وغير ذلك .

(١) الدولة الأتابكية من ٢٢٠ [وكتاب الروضتين ج ١ ص ١٣٣] والتفصيل هناك .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢٠ والكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٣٤

م (٣)

وكان من أشجع الناس ميمون النقية لم تهزم له راية وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركياً أسمر اللون خفيف العارضين قصيراً جداً ، وبني مدارس وربطاً بالموصل وغيرها . بلغني انه مدحه الخيص بيص^(١) فلما أراد الإيثار فأن له انا لا أدري ما تقول لكنني اعلم انك تريد شيئاً وامر له بخمسمائة دينار واعطاه فرساً وخلعاً وثياباً يكون مجموع ذلك نحو الف دينار . ومكافئه كثيرة تنتصر على بعضها ولما توفي كان الحاكم باربل خادمه مجاهد بن قايماز وهو المتولي لأموها^(٢) .

وجاء في اوراق قديمة لمؤلف مجهول : « كان قصيراً جداً ، عادلاً ، حسن السيرة ، كثير الأمانة . . . ميمون النقية ، لم يكسر جيش هو فيه ، وكان بجيلاً ، ثم انا جاد في آخر عمره ، وبني المدارس والربط والقناطر والجسور . . . » اهـ^(٣) .

يتبع : (بغداد) عباس العزاوي

— ٣٥٥ —

(١) ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٣٨٥ (٢) تاريخ أنابك الموصل من ٢٤٤

(٣) الظاهر أن هذه الأوراق من تاريخ الذهبي ولم أتمكن من المقابلة .

عقدًا نكاح

كُتِبَ فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ

أُعْثِرَنِي الْإِتْفَاقُ بِعَقْدِي نِكَاحٍ كَتَبَ أُوْلَاهَا فِي ٢٣ رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٣٤ الْهَجْرِيَّةِ الْمُوَافِقِ لِسَنَةِ ٣٠٤ الْمِيلَادِيَّةِ وَكِلَاهُمَا أَجْرِيَا بِشَعْرِ اسْوَاتِ أَحَدِ الثَّغُورِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى شَاطِئِ نَهْرِ النَّيْلِ وَهُمَا يَتَعَلَّقَانِ بِأَمِيرَةٍ تَدْعَى أُمَ الْخَيْرِ ابْنَةَ الْأَمِيرِ رُكْنَ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ شِجَاعِ الدِّينِ بْنِ فُخْرِ الدِّينِ مَالِكِ إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ نَسَبُهَا بِمَعْدَ بْنِ عَدْنَانَ .
فَالْأَوَّلُ أَكْتَتَبَهُ الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ سِرَاجِ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ جَمَالِ الدِّينِ حَامِدُ ابْنِ رِحَالِ بْنِ عِمَارِ بْنِ حَامِدِ بْنِ عِمَارِ الْكَاهِلِيِّ .

وَالثَّانِي أَكْتَتَبَهُ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ أَفْرُونُ (كَذَا) بْنُ تَاجِ الدِّينِ مَتْوَحَ (كَذَا) ابْنَ شَرْفِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ فُخْرِ الدِّينِ مَالِكِ إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ نَسَبُهُ بِمَعْدَ بْنِ عَدْنَانَ أَيْضًا . وَالظَّاهِرُ مِنْ هَذَا النَّسَبِ أَنَّ أَفْرُونَ الْمَذْكُورَ مِنْ بَنِي عَمُومَتِهَا .

وَجَاءَ فِي الْعَقْدِ الْأَوَّلِ عَنِ الْمَعْقُودِ عَلَيْهَا الْأَمِيرَةِ الْجَلِيلَةِ الْمَصُونَةِ وَالِدَةِ الْمَكُونَةِ الْبِكْرِ الْبَالِغِ وَفِي الْعَقْدِ الثَّانِي الْأَوْصَافَ ذَاتَهَا يَتَّبِعُهَا الْمَرَأَةُ الْمَالِكَةُ أَمْرَ نَفْسِهَا . وَهَذَانِ الْعَقْدَانِ لَمْ يَدْوَ تَابًا بِالرَّقِّ الْمَصْنُوعِ مِنَ الْجِلْدِ الْمَدْبُوعِ كَعَادَةِ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي تَحْرِيرِ الصُّكُوكِ أَوْ بِالْكَاغِدِ الصَّقِيلِ الَّذِي كَانَتْ تُكْتَبُ بِهِ الْكُتُبُ وَالذَّفَاتِرُ بَلْ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَكْتُوبٌ عَلَى قِطْعَةٍ نَسِيجٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَخْضَرِ الَّذِي لَمْ يَتَخَرَّقْ وَلَمْ يَتَشَقَّقْ إِلَى الْآنِ وَلِذَلِكَ فَانَ الَّذِينَ كَتَبُوا الْعَقْدَيْنِ أَوْ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَيْهَا مِنْ الشُّهُودِ قَدْ عَانُوا بِسَبَبِ الْمَشَقَّةِ فِي كِتَابَتِهِمْ لِأَنَّ الْقَلَمَ لَا يَجْرِي عَلَى الْحَرِيرِ كَجَزَائِنِهِ عَلَى الْمَوَادِّ الْأُخْرَى الْمَعْدَّةِ لِلْكِتَابَةِ . وَلِذَلِكَ فَقَدْ عَانَى كَاتِبُ هَذِهِ السُّطُورِ أَيْضًا بِعِضِّ النَّصَبِ فِي قِرَاءَةِ الْعَقْدَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ عَنِ النَّسِيجِ الَّذِي أُتْعِبَ مِنْ كِتَابَتِهِ عَلَيْهِ .

وهذه نسخة العقد الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد النبي الأمي وعلى آله
وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

الحمد لله الذي شرف الأنساب وفضلها ، وعظم الأحساب وكلمها ، وأوضح
الأحكام وبينها ، الذي هدانا بجملة الاسلام التي هي أفضل الملال ، وجعلها ميزان
عدل معتدل ، وجاور من الأشياء ما دق وجل ، وتفرد بوحدايته عز وجل ،
هادي الألباب ، ومرشد النظر الى الصواب ، وحافظ الدراري والأعقاب ، الذي
خلق أبا البشر من تراب ، واجرى النطف من الأصلاب ، الخاكم بعدله ، والهادي إلى
الخير وسبيله ، ومعمم البسيطة بآدم ونسله ، الذي جعل النكاح عصمة من الشيطان
وحبله ، فهو ما أمرت الشريعة باعتماد فعله ، وأباحه الله على لسان رسله ، فقال
عز من قائل في محكم منزله ، « وانكحوا الأيامى منكم والعالميين من عبادكم
ان يكونوا فقراء يغنمهم الله من فضله » : أحمده على ما يسره وأظهره بأشكره
على ما قضى به من التواصل وقدره ، وسهله من التصاهر ويسره ، وأشهد ان
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدرأ العذاب ، وتستنزل رحمة العزيز
الوهاب ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وآتاه الحكم
وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة الى يوم المآب ، قادرة بالعلم
والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل .

وبعد فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الأنام وأباحه ليستغنى بالحلل عن الحرام
وقال جل ثناؤه في حق من خشى العيلة من كثرة أهله « وان خفتم غيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله » وقد ورد عن سيد ولد نبي تهامة : « تناكحوا تكثروا
فاني مبارك بكم الأمم يوم القيامة » وسيرفع حجاب ما سبق في هذا الكتاب .
فنسأل الله العظيم ان يجعل التوفيق مما حضرنا لأجله ، ويحوط هذا الأمر
بالخير بعده وقبله ، وان يعضد هذا العقد بالدوام ويحسن له الفاتحة والختام .
وكان مما سورع اليه ووقع التعويل عليه وهو ما يقرأ عليكم في كتاب أوله

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
 هذا كتاب صداق ، وعقد توفيق واتفاق ، وبركة تسمو على أصحابها ، وسعادة
 تنمو الى خطاياها ونعمة قد من الله سبحانه بها ، اكتبه الامير الأجل المحترم
 علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال الدين حامد بن رحال بن عمار بن حامد
 ابن عمار الكاهلي لمخطوته الأميرة الجليلة المصونة والذرة المكنونة البكر البالغ
 المدعوة أم الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير
 الأجل الكبير المحترم المرحوم شجاع الدين ابن الجناب العالي المولوي الكبير
 الأجل المجتبي المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك بن الأمير الأجل
 المجاهد صارم الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد ابن الأمير الأجل المجاهد سيف
 الدولة وعمدتها ابي الفتح نصر ابن الأمير الأجل عضد الخلافة كثر الدولة
 حسام أمير المؤمنين ابي الفتح ابراهيم ابن الأمير الأجل ابي عبد الله محمد بن علي
 ابن محمد بن يوسف ابن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة
 ابن يربوع بن الدول^(١) بن حنيفة بن أقصى بن دعي بن جديلة بن ربيعة بن نزار
 ابن معد بن عدنان ويريد تزوجها أصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه من
 الذهب العين المصري المثايل المسكوك الجيد خمسمائة دينار الحال من ذلك
 مائة دينار واحدة وباقي ذلك وهو من عين الذهب اربعمائة دينار بالصفة المذكورة
 يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطاً لها عليه الى تقضي عشر حجج
 من تاريخه وهو ثاني عشري شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبعمئة وذلك
 بايجاب من ضياء الدين احمد بن طاهر بن سيدم النقيب بباب الشرع الشريف
 بشعر أسوان المحروس وكيل أخيها شقيقها جمال الدين محمد وذلك بشهادة من
 يذكر كل منهم رسم شهادته آخره وعلى الزوج المذكور ان يتقي الله عز وجل

(١) هكذا في الأصل وفيه وردت في مقدّمه في الدّمثل و"سواب الدّمثل" رجل من بني حنيفة
 ابن لجم وحسب من بكر بن وائل كما جاء في الفاموس . بيد أن المبرد في كتاب نسب عدنان
 وقسطان ذكره المزمّل .

فيها ويحسن صحبتها ويعاشرها بالمعروف ، وبخالق الرضي المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وله عليها مثل الذي لها عليه ودرجته زائدة عليها بقوله تعالى في محكم كتابه العزيز « وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »

ولما وضع لسيدنا الفقيه الأجل الامام العالم العبد الكامل المدرس الفاضل القاضي العدل الرضي نجم الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين أبو العباس أحمد القرشي نسباً الاسنائي بلداً المستخلف في الحكم العزيز بمدينة أسوان عن حضرة سيدنا ومولانا أفضى القضاة حاكم الأحكام بقية السلف الكرام شرف الدين أبي مدين شعيب ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى القاضي الأجل الفقيه الامام العالم العلامة جمال الأحكام خلال الأحكام جمال الدين حاكم المسلمين أبي التقي يوسف القرشي الشافعي الحاكم يومئذ بمدينة بني أسنا وأدفو وثغر أسوان المحروس وما مع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية الشافعي أدام الله اقبالهم وختم بالصالحات أعمالهم ان الزوجة المذكورة حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية فحينئذ أمر بكتبه فكتب وزوجت من الزوج المذكور بالصداق المسطر أعاليه حاله وموجله قبل الزوج لنفسه ذلك قبولاً صحيحاً شرعياً فورياً خار الله لكل منها في صاحبه وبلغه أقصى ما أربه .

ويجميعه شهد على من سمي فيه مما نسب اليهم في التاريخ المقيد أعلاه بتاريخ الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

حضرتُ العقدُ المذكورُ شهدتُ على الأمير علم الدين الزوج

المذكور بمعلوم الصداق المذكور

وعلى الزوجة المذكورة بقبض

الحال المذكور وكتبه

محمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز

وشهدت على من

تسمى بما نسب اليهم

فيه وكتبه

محمد بن عبد العزيز

شهدتُ على الأمير علم الدين
 الزوج المذكور على الصداق المذكور
 وعلى الزوجة بقبض الحال
 المذكور علناً وكتبه
 علي بن نعمة الله
 وهذه نسخة العقد الثاني

حضرتُ عقد النكاح وشهدتُ
 على المذكورين بما نسب إليهم
 وأشهد على الزوجة
 بقبض الحال
 وكتبه محمد بن أحمد بن عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
 الحمد لله الذي تعبدنا بطاعته ، وشرفنا بعبادته ، وأنالنا من احسانه وفضله
 ورحمته ، الذي جعل النكاح من شريعته ، وحث عليه في كتابه وسنته ، وجمع
 بين شمل المتباعدين بلطفه وحكمته ، والف بين الزوجين فسكن اليها فصرف
 كل منها الى الآخر غاية مودته ومحبتة ، حمده على ما أولى من نعمته ، وأشكره
 على آلائه ومنتته ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف
 بربوبيته ، مقرّ بوحديته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث الى كافة الأمم
 برسالاته ، والمخصوص في المؤمنين بشفاعته ، صلى الله عليه وآله وصحباته ، ما أعقب
 ليل صباح بكرته .

وبعد فهذا عقد شمله التوفيق بكتيبته ، واكتنفه اليحن يجملته ، الزوج فيه من
 ذوي الأقدار المشهورة ، ومن ارباب البيوت المذكورة ، قد نشأ على قدم الخير
 والاصلاح ، وتعاطى أسباب التقوى والصلاح ، والزوجة بالدين والوفاء موصوفة
 وأبوتها بالأوصاف الجميلة معروفة ، فالله يقرن عقدهما بالتوفيق ، ويجريه على أهدج
 طريق ، وكان مما أراد الله عز وجل في القدم ، وجرى به في اللوح المحفوظ
 بالقلم ، نكاح لأمر الكبير المجاهد عز الدين الذي هو عالمًا^(١) بأن النكاح
 مندوباً^(٢) إليه ، ومحتوث من الشارع عليه ، وانه محصل لأسباب التحسين والعصمة ،
 وجامع لأسباب المودة والرحمة ، وسبب التعاصر والتناصر ، ومقصود به التناسل

(١) و (٢) هكذا في الأصل والصواب عالم ومندوب

والتكاثر ، رأى المصلحة في تحصيل هذا المندوب ، ويجوز لنفسه هذا المطلوب ، وعزم على تزويج من ندب الشرع الى تزويجها ، والاتصال بها ودوام مصاحبتها ، وهي عقيلة ذات الدين والعقل والجمال ووُصفت بكمال الأحوال ونشأت في السعادة الكاملة ، وربيت في حجر النعمة الشاملة ، والدها من أكبر الأمراء ندراً وأسخاهم كفاً ، وأكملهم وصفاً ، وهو الأمير الكبير ركن الدين الحسين صاحب الصدقات والمعروف ، ومن هو بمكارم الأخلاق الدينية موصوف ، فالله بقرن هذا العقد بالسعادة والتوفيق ، ويجريه على أحسن طريق ، وكان مما سورع اليه ، ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى خصوصاً ان
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وحسبنا الله ونعم الوكيل .
هذا كتاب عقدي ، وسيمية ودية ، وتجديد عهد ، وعزم مبارك ، وساعة سعد ،
واتفاق في الأمور ، وائتلاف في الصدور ، اكتبه الأمير الأجل الكبير الأخص
الأعز المجتبي المختار الموفق السعيد عز الدين أفرون ابن الأمير الأجل الكبير
المجاهد المرابط الموفق السعيد تاج الدين متوح ابن الأمير الأجل الأكمل المجتبي
المختار شرف الدين محمود ابن الأمير الأجل الكبير المجتبي المختار المجاهد المرابط
المتأخر الأخص الأعز الأكمل المؤيد كثر العشائر فخر الدين أبي المنصور مالك
ابن الأمير الكبير المجاهد المرابط المجتبي المختار تاج الأمراء فخر العرب صارم
الدولة وعسكرها أبي عبد الله محمد بن الأمير الكبير الهمام كثر الدولة وفخرها
سيف الدولة أبي الفتح نصر ابن الأمير المخلص المنصور المؤيد عصر الخلافة عز الملك
تاج الدولة فخر العرب كثر الدولة وعهدتها ابي اسحاق ابراهيم ابن صارم الدولة
أبي الحسن علي ابن الأمير حسام الدولة أبي العز متوح ابن الأمير كثر الدولة
ابي المنصور محمد ابن الأمير كثر الدولة ابي المكارم هبة الله بن محمد بن علي
ابن يوسف بن اسحاق بن ابراهيم بن مسروق بن مسمع^(١) بن معدي كرب بن الحارث

(١) في الأصل قرأ مسمع ومسمع وكلاهما بإضافة أداة التعريف أبو قبيلة .

ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدئل^(١) بن حنيفة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعما^(٢) بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن معد بن
عدنان بخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرّة المكنونة المرأة المالكّة أمر نفسها
المدعوة أم الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير
الأجل الكبير المحترم شجاع الدين ابن الجناب المولوي الآمري الأجلي المجتبي
المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك النسب المذكور ويريد تزوجها
أصدقها على بركة الله سبحانه وتعالى وعونه ، وحسن توفيقه وظنه ، وسنة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم صداقاً جملة من الذهب العين المثاقيل الوازن المصري مائتا
دينار حالاً ومؤجلاً فالحال من ذلك خمسون ديناراً أقرت الزوجة المذكورة
بقبضها من الزوج المذكور وبقية ذلك مقسطاً لها عليه في سلخ كل سنة تمضي
من تاريخ العقد بينها وهو الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهر سنة اثنتي
واربعين وسبعائة عشرة دنانير والله ولي المتقين .

وولي تزويجها والقيام بعقد نكاحها عليه سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الفقيه
الامام العالم الكامل صدر المدرّسين مفيد الطالبين القاضي العدل الرضي نجم الدين
أبي عبد الله محمد ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد
العدل الرضي ضياء الدين أحمد بن نجم الدين عبد القوي القرشي الحاكم يومئذ
بشغل أسوان عن الناظر في الحكم العزيز بالأعمال القوصية أدام الله سعادته باذنها
له في ذلك نسبها الأنسب سيضع خطه فيه في ذلك ان وضع خلو الزوجة المذكورة
من موانع النكاح الشرعية أجمع وان الزوجة المذكورة يومئذ حرة مسلمة
صحيحة العقل والبدن فحينئذ أمر بكتب هذا الصداق فكتب وزوجت من
وكيله أحمد بن منبه بن عبد الله على الصداق المذكور قبل الوكيل المذكور

(١) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبل هذا الدؤل

(٢) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبله دعمي

هذا النكاح لموكله قبولاً شرعياً بشعر أسوان المحروس بتاريخ الخامس من شهر
جمادى الآخرة من شهر سنة أربعين وسبعائة .

حضرت العقد المذكور وشهدت	حضرت العقد المذكور وشهدت
على سيدنا ومولانا أفضى القضاة	على سيدنا ومولانا أفضى القضاة
حاكم المسلمين زين المدرسين	حاكم المسلمين زين المدرسين
علم العلماء المعتبرين نجم الدين	علم العلماء المعتبرين نجم الدين
الحاكم المزوج والوكيل القائل	الحاكم المزوج والوكيل القائل
بما نسب إليها فيه في تاريخه	بما نسب إليها فيه في تاريخه
كتبه خليل بن عيسى عريس	كتبه خليل بن عيسى عريس
عفا الله عنهم	

حضرت العقد المذكور وشهدت على
سيدنا ومولانا أفضى القضاة
صدر المدرسين مفيد الطالبين
ابي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
اعلاه المزوج والوكيل القائل
بذلك والزوجة بما نسب إليها فيه
في تاريخه المذكور اعلاه
كتبه صالح بن احمد بن محمد بن علي .

عبد الله فخلص

الطرافة والابتدال

في الأدب العربي

(توطئة)

ليس كل ما كان جديداً في الأدب يستحق ان يحسب طرفة أو تحفة فقد يكون الجديد قبيحاً إما خطأ فيه واما لنبو الطابع والذوق عنه واما لمخالفته الطابع العربي في كيفية الاداء والترتيب . ومما تلجأ اليه طائفة من أدباء العرب في نهضتنا الحديثة اتباع اوزان شعرية جديدة تشبه بعض الشبه نوعاً من الموشحات ولكنها ليست اياها ومن العسير ضبطها تحت أحكام معينة . هذا النهج الجديد يولع به انصاره بقصد الاغراب وادخال الدهشة على الآذان والأذهان آملين ان تجر الدهشة الى اعجاب واستحسان وهو امل يتحققونه في نفوس ضعفاء القراء ولكن هيهات ان ينال مثلاً من نفوس اقويائهم . لأن القوي لا تهتمه هذه الظواهر والزخارف بل يغربل ما يقرؤه ثم ينخله وينظر الى ما فيه من لباب لا من قشور متكاثفة وعلى هذه الصورة يصدر حكمه بجودة هذا الشعر الجديد أو برداءته . فمن اراد من أدباء العصر موازاة عجزه وتقصيره بهذه المستحدثات فاهمسوا في أذنه قائلين انها لا تحول دون نظر اهل الحصافة والخبرة . وحكم كل خبير يصدر عليه بفوق عشرة آلاف حكم من غير الخبراء الذين يحكمون له . ثم ليس كل ما كان مطروقاً في الأدب يستحق ان يحسب مبتدلاً مستهجنًا فقد يكون المطروق ضرورياً لايضاح ما اكتنفته من الكلام . وقد يكون مقبولاً محتسباً مماثلاً لسياق الحديث في مذاجته وصراحته . وهذا المطروق الساذج مفتر بشرط ان لا يزيد على خمس القصيدة فان زاد فالقصيدة ليست بذات درجة عالية .

هذه تنبيهات اجمالية يجب ان لا يغفل عنها العاقل المنصف . ولكن لبس من حق هذه التنبيهات ان تتجاوز حدودها فتتخدع اذواقنا وبصائرنا وتخلط علينا بين المحاسن والمساوي .

ومن اسرار البلاغة ومعادنها الفياضة تنازل المعنى التافه وتزيينه من بعض نواحيه او تناول الفكرة الجملة وتفصيل شيء من زواياها . او الخاطر الناقص وتكميل نقصه . الى ما يشبه هذه التمديلات مما سميته توليداً في كتابي « كفيل البيان والشعر » وأوردت عليه 'مثلاً' حجة مقنعاً المعنى الأصلي من جذوره فإذا به مبتذل حقير في أصله حتى اذا عولج بأحد هذه القوالب أصبح مبتكراً باهي الجمال أو قريباً من قمة الابتكار . فالتوليد اذن منجم عميق رحب من مناجم حسن القول وأسرار البلغاء . ولا يليق بي ان أعيد هنا ولو باختصار ما تناولته هناك . بل أنوي الساعة ان أدل القاري على منجم ثانٍ يتأخم طريقه طريق المنجم الأول وقد يتشابه الطربقان . ويمكنني ان اسمي هذا المنجم الجديد تنزهاً كما سميت ذلك توليداً وهو خير مرآة لوجوه الطرافة واختلافها عن وجوه الابتدال مما جعلته عنواناً للبحث الحاضر .

التنزه الأدبي اصطلاحاً

الذي أريده بالتنزه الأدبي الترفع عن مستوى منخفض الى مستوى أعلى مما ينطبق على الوضع اللغوي من لفظ التنزه ومعناه التباعد كما ينطبق على معنى له آخر شائع بين العامة والخاصة اي طلب التنزه في بستان او روضة أو رابية جميلة أو وادٍ ظليل أو حقل ناضر أو مرج بهيج الى ما شاكل ذلك . فكلا المعنيين من لفظ التنزه يلائم التشبيد المقصود بالانتقال من معنى مبتذل الى معنى طريف مستعذب . وللمجيد من شعراء العرب في هذا الميدان قدم راسخة وباع طويل وأدل الدلائل على قدرتهم الشعرية واتساع مدى تصورهم وتفكيرهم انهم لم يقنعوا بالمعاني والتشبيهات التي طرقها كثيرون قبلهم عند ذكر ما كثرت الفتهم

له من شمس وقمر وغيث وجبل وهواء وبحر ونحوها . بل تجاوزوا ذلك القديم المعتاد المطروق الى معانٍ جديدة ومناسبات لطيفة لا يتنبه لها الا امثالهم من فحول الشعراء وهم قليلو العدد في كل عصر وكل مصر . وهذا الذي انوي التصريح عليه في ما يلي من الشواهد الشعرية متعلقة بالشمس والقمر والنجم والغيم والمطر والظل والهواء والأرض والبحر والغدير والبئر والجبل والوادي والليل والتراب والناس وحديثهم ودموعهم وتبادلهم التحيات والسيف والرمح والسهم والحياة والموت . فان جميع هذه المحسوسات المشاهدات وجدنا لها في قرائح الشعراء المفلقين حيزاً جديداً جميلاً لا عهد لنا بمثله عند غيرهم . فقلما يرضى احدهم بالاختصار على هداية النجم وهباء القمر وعلو الشمس واتساع البحر ومضاء السيف الى آخر ما هنالك من المعاني المتداولة بل يستخرج لكل منها معنى آخر طريفاً ومناسبة لطيفة . وقد حان لنا ان نسرد ذلك سرداً قريب المأخذ سهل المنال .

شواهد التره الأدبي في المحسوسات العلوية

اراد ابو تمام وهو حبيب بن اوس الطائي ان يتره قريحته ويدفعها عن الامام بضياء الشمس او رفعتها او تأجج نارها او تعميم فضلها على المخلوقات فالتفت الى ناحية جديدة ورأى ان الشمس تستجيبها النفوس وان لم تحاول هي احراز هذه الحبة فقال في وصف حبيبته الحناء :

هي الشمس يغنيها تودد وجهها الى كل من لاقت وان لم تودد

تودد بفتح التاء وأصلها تنودد . وحذف احدى التاءين بقصد التخفيف قياسي

في مثل هذا الموضع وقد وفق ابو تمام الى نهج جديد آخر في التشبيه بالشمس حين اراد حض الناس على الهجرة والاعتراب استزادة لأرزاقهم وقوتهم المعنوية فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلوق لذي حاجته فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بمرمد

ولم تطب نفس ابي بكر الخوارزمي حين تصدى للتزويه بفضل احد اصدقائه

في ان يجعله عالي المقام كالقمر او مشرق الخصال والمبادي مثل نور القمر مما هو رث قديم بال بل تنزه عن ذلك الى معني جديد ابتكره في ايجاد وجه شبه بين ممدوحه والقمر فقال ان صديقه يتفقد اخوانه في اكثر الأحيان عندما يكون على سعة من العيش فان اعتراه عسر وضيق قلل من مخالطتهم والاجتماع بهم شأن القمر في طول مدة بروزه للبشر عندما يقوى نوره فان ضعف نوره وهو في أوائل الشهر القمري او اواخره لم يبرز لعيون الناس الا مدة قصيرة . وهذا الذي قاله الخوارزمي :

رأيتك ان ايسرت خيمت عندنا لزاما وان اعسرت زرت لماما

فما انت الا البدر ان قل ضوءه ألم وان زاد الضياء اقاما

ولم يقصر عن هذه الطرافة شاعر آخر اراد معاتبة صديق له ارتفع منصبه فأخذ يظهر له جفاءً وفتورا فقال فيه الشاعر المحفو :

سألت الله ان تسمو وتعلو علو النجم في كبد السماء

فلما أن علوت بعدت عني فكان اذن على نفسي دعائي

ومعلوم ان علو النجم في كبد السماء معني مبتذل لم يكن لذلك الناظم فضل في الاشارة اليه وانما ظهر فضله وذكاؤه في كيفية الانتفاع بهذه الناحية المبتذلة حين شبه ابتعاد خليله عنه بعد ارتفاع منصبه بابتعاد النجم عن عيون الناس . وازداد شعره حسنا بما ذكره من سابق دعائه الصالح و كيفية انقلابه عليه شوما وحرمانا . وقال كمال الدين بن النبيه في وصف كوكب الصبح :

و كوكب الصبح نجاب على يده مخلق تمسلا الدنيا بشائره

وهو وصف جديد جيد للكوكب المذكور لا يتعب الذهن في استحضار صورته . وقد قصرت عن ذلك همة غيره من الشعراء فاكتفوا بما ألفوه وتوارثوه من التشبيهات . وأراد بقوله مخلق طرسا مخلقا او كتابا مخلقا أي مضمخا بالخلق بفتح الخاء وهو نوع من الطيب يكثر فيه الزعفران .

وقال مروان بن أبي حفصة في رثاء الأمير الشيباني معن بن زائدة ذاكرًا
وجه شبه للمطر :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد الفيث مجراه مرتما
وقد تعودنا ان نرى الشعراء يشبهون ممدوحهم بالمطر في غزارة هطله وضمائه
للخصب والخير . فانتقل ابن ابي حفصة من هذه الناحية الى ناحية جديدة قائلاً
ان الأمطار قد تزول وتبقى آثار خيرها في المغارس والمزروعات وهكذا كان
الأمير المرثي معن بن زائدة .

وقد عهدنا الشعراء بذكره من أوجه شبه متعدد للغمام من تبشيره بهطول الفيث
أو من علوه في الجو أو من اطراد سيره بين البطء والسرعة الى غير ذلك مما
قرع الاسماع كثيراً ولكن شاعرية كثير عنزة لم تقنع بهذه المعاني المتبدلة
بل التفت الى ظل الغمامة ورأى خيبة من يعول عليه ويحاول ان يقبل ان
ينام نومة الظهيرة في هذا الظل فقال متصدياً لذكر مقاطعة بينه وبين محبوبته
عنزة مما كان يحز في صدره :

واني وتهيامي بعزة بعدما تخلت عما بيننا وتخلت

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وذكر احد قدماء الشعراء الرياح مشيراً الى حالة دقيقة من حالاتها اذ قال
ان الرياح اذا تناوحت اي هبت من نواح مختلفة الصقت بجسم حبيته الحسنة
اجزاء ثوبها بحيث تظهر محاسن جسمها في تركيبه الطبيعي الجميل فتستثير
حسد النساء لها وغيره العاشقين عليها . وهذا الذي قاله الشاعر والشاهد في
البيت الثاني . وفي البيتين رشاقة اداء وبلاغة ايجاز :

ابت الروادف والثدي لقمصها مسّ البطون وان تمسّ ظهورا

واذا الرياح مع العشي تناوحت نهن حاسدة وهجن غيورا

سواهر التنزه الاديبي في المحسوسات الارضية

من المعاني المستحدثة قول بعضهم في الأرض :

سألت الأرض لم كانت مهاداً ولم جعلت لنا طهراً وطيباً
فقلت غير ناطقة لا في حويت لكل انسان حبيبا

وقال الأمير ابو فراس الحمداني في التراب . والشاهد في البيت الثالث :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي يبني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

واستخرج بعضهم معنى شعرياً علمياً قائلاً ان السحاب لا فضل له على البحر
لأنه يتخذ قطراته من قطرات البحر المتبخرة . فشيبه بهذه الحالة حاله بأهدائه
الشكر الى المتفضلين عليه حيث قال :

أهدي له حسن الثناء وانما أهدي له ما حزت من نعمائه
كالبحر يطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه

واشار احد الشعراء ضمناً الى البئر - وأظنه ابا الأسود الدؤلي واضع علم النحو -
فقال ان البئر قد تملأ الدلو ماء زلالاً صافياً وقد تملأها وحلاً يخالطه شيء
يسير من الماء بحيث يمكن تصفيته والانتفاع به . مشبيهاً بهذا المعنى الطريف
سعي الانسان لمعيشته فيكون نصيبه الفلاح التام تارة ، وشيء زهيد من
الفلاح تارة أخرى ، قال :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن القى دلوك في الدلاء
تجبي بملئها طوراً وطوراً تجبي بجماةٍ وقليل ماء

وفي ذكر الجبل قال أحد الشعراء :

ويا جبلي نعمات بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها

وقال آخر ذاكراً الليل وما فيه من حيرة وعجز عن دفع الضيم :
 كالسيل في الليل لا بدري به أحد من أين جاء ولا من أين يأتيه
 وأحسن من هذه الاشارة الى الليل ما قاله ابو الطيب المتنبى في معرض
 تغزل وتشبيب :

وكم لسواد الليل عندي من بدٍ تخبر ان المانوية تكذب
 أراد بالمانوية الملة المانوية نسبة الى مؤسسها ماني الفارسي ومن عقائدها
 الجوهريّة ان الظلام هو إله الشر .
 وقد ذكر النابغة الذبياني الليل أيضاً اعتذاراً الى ابي قابوس النعمان فقال :
 فانك كالليل الذي هو مدركي وان قلت أن المتأى عنك واسع
 وعدل بعضهم عن وصف السيف بالمضاء والافناء الى ذكر حالة أخرى
 من أحواله قائلاً :

كذا السيف ان لا يفته لان منته وحده ان خائفته خشان
 وفي ذكر السهم قال الأمير ابو فراس الحمداني واصفاً إحدى المعارك :
 ولما صار سيف الدين ثرنا كما هيبت آساداً غضابا
 وكنا كالسهم اذا اصابت مراميها فراميها اصابا
 ان هذا البيت الأخير من أدل الأبيات على قوة شاعرية الناظم وجودة
 تصويره . فقد عهدنا الشعراء يشبهون صاحب العزم بالسهم جاعلين المضاء والنفاذ
 وجه شبه . وهو وجه حسن لا بأس فيه . ولكن همة ابي فراس لم تقنع به
 لكثرة ما استعمل حتى ابتذل وسئحته الاسماع او كادت تسأمه بل التفت الى
 وجه جديد ادق وابعد غوراً فقد قصد في بيته المذكور انه لم يكن شيء
 يعوقهم عن الظفر بالأعداء الا عدم لغائهم فلما لقوهم أصبح النصر محققاً وكان
 مثلهم مثل السهم في مجرد وصولها الى هدفها تفعل فيه فعلها الرهيب ويكون
 راميها قد أصاب . فالبيت يحسب من معجزات الایجاز . (٤)

سواهد التنزه الاديبي

في الناس وبعض شؤونهم

لقد خلق في الطبقة العليا من جو الفضيلة والانسانية من أوصى الانسان
ان يعد البشر كهم احبائه والارض على رحب أقطارها داراً له ومأوى وملجأ
أميناً من قال :

نصور الناس كهم سكاناً ومثل الأرض كلها داراً
والسكن بفتح الكاف هو الحبيب الذي تسكن اليه نفسك اي ترتاح اليه .
وقال أبو الطيب المتنبي في دموع الحب :

أينكر خدي دموعي وقد جرت منه في سلك سابلٍ
أول دمع جرى فوقه وأول حزن على راحلٍ
ولو زلتُم ثم لم ابككم بكيتُ على حي الزائل
وقال أحدهم في العيش :

ما العيش الا ان تحب وان يحبك من تحبه

وقال المتنبي في الموت :

ألف هذا الهواء اوقع في الأتفس ان المات مرُّ المذاق
وقال فيه أيضاً :

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموتَ جباناً

كلمة ختام

ان هذه النازج الشعرية فضلاً عما اشتملت عليه من طائفة طيبة تثبطن
فائدة جلية لكل أديب ومتأدب اذ تنبه ذهنه وتدله على كثير من الطرق
في اجتناب المبتذلات والارتقاء الى سدة الطريف المستعذب في المعاني وأساليب
الاداء وقد لا يقل الأسلوب مقاماً عن جوهر المعنى المقصود . ومعلوم ان

ناحية واسعة من منشور القول وهي الناحية الخاطبة لموضوعات ألفها الشعر والشعراء
 تدخل تحت هذا الحكم وهذه النظرية .
 فخري مجزب الأدب واعوانه وخدامه العاملين في حقله ان يناقش كل منهم
 نفسه ادق مناقشة حين يؤدي قولاً منظوماً أو منشوراً لكي يتجاني به عن
 مواضع الرثاثة والابتذال ويسير فاصداً ردهة الاجادة فان لم يبلغ صدرها ولم
 يتوسطها فالأرجح انه لا تفوته عتبتها ومن ثم ينصف نفسه ويصون كرامته
 ويرضي القراء والسامعين اذ يعفيهم من السامة والملل في الاصغاء الى قناطر
 من الكلام ليس تحتها شيء من الفائدة واللذة او تحت تلك القناطر درهم منها
 أو درهمان . ولعمري لا ادري لماذا لا يتحمل الأديب من الوقت والعناء في
 نظم أبيات يسيرة ما تعود ان يتحمله في نظم خمسين او ستين بيتاً . فلو اتخذ
 أولئك المكثرون المقصرون هذه الخطة في الافلال من النظم مع زيادة اجتهاد
 فيه وعناية به لرأينا المحيدين من الناظرين حوالينا يزدون على خمسين في المئة
 مع انهم في حالتهم الخاضرة يفلون عن عشرة في المئة . ويارحم الله القائل :
 والناس مثل بيوت الشعر كم رجلٍ منهم بألف وكم بيت بديوان

ادوار مرفص

(اللاذقية)

في النظر الأوربي

على هامش النثر الفني

الاعجاب بالنفس أخطر ما يصيب الباحث المفكر لأنه يجيل اليه التفوق والنبوغ ،
ويزين له الغرور بما يكون منه من عمل ، والفنون بما يرى من رأي أو يلفظ
من قول . وكما تتابعت الأيام تمكن منه ، وطلبه على عقله ، ووران على فكره ،
وغطى على بصره ؛ فلا يبصر الا محاسنه ، ولا يفكر إلا في عظمته ، ولا يعقل
إلا ما يتصل بهذه المحاسن وتلك العظمة من قريب أو بعيد . ومن هنا كانت
خطورته على المفكر لأنه ليس كغيره من الناس يفكر لنفسه ويخبس عليها
تفكيرها أو يذيعه في تلك البيئة اليسيرة القصيرة التي تحيط به من المعارف
والأصدقاء ؛ وانما هو مولع بالتفكير للناس لا يكاد ينتهي الى رأي في العلم ،
أو نظرية في الفن ، أو نظرة عابرة فيما دون ذلك إلا وهو آخذ بأسباب اذاعتها ،
عامل على نشرها بين الناس جميعاً ، لا يهدأ له بال ، ولا يطمئن له خاطر حتى
يعرض فكره وعقله وقلبه ويظهر الناس على ما كان يعتلج فيها من أسرار ،
ويبتلع من آراء ، ويضطرب من مشاعر . فاذا لم يأخذ الباحث حذره من شيطان
الاعجاب وبتمم نفسه في رغائبها ، ويجادلها عن منازعها ؛ وبفائش ضميره جاهداً ،
ويراجع عقله ، ويقايس بين أفكاره حتى يميز الخبيث من الطيب أهلكه الاعجاب ،
وأخمل ذكره ، وعرضه لألوان من النقد اللاذع ، وفنون من التهمك المرير
لا قبل له بتحملها ، ولا صبر له على بأسها ، وان بأسها لشديد ، والحق الذي
لا مرية فيه ان الوان الخطأ التي بدفع اليها الاعجاب على عظمها وغرابتها ما كانت
لتقع لو لا تلك الحجب الكثيفة التي يضر بها على العقل ، ويحول بها بين المرء

وقلبه . لا تكاد الفكرة تطرق ذهن المعجب بنفسه حتى تستحيل الى رأي ، ولا يلبث الرأي حتى يستحيل الى عقيدة تملأ مسارب النفس ، وتأخذ بمسالك الوجدان فيعتنقها ويمجادل عنها ما وسعته المجادلة وأمدّه البيان ، وان كان خطأها بادياً للعيان لأنها وليدة الاعجاب الفتان .

ومن هذا القبيل تلك الفكرة التي اعتقدها الدكتور زكي مبارك في أبي حيان التوحيدي ، وكانت مبعث خبطه في احكامه عليه . اعتقد انه رجل أنشأ الحقن على الموهوبين من أهل العلم والأدب والجاه ، وأديب متشرد أفاق يرجع نبوغه الى حسده وحقدّه وثورته على الحياة والأحياء . وهو فوق هذا ، ذاك مفتر كذاب . أنطق معاصريه بما شاء من الأقوال والآراء ، وسجياها في كتيبه معزة لهم زراً وبهتاناً . وانه لصاحبها ومخترها فعليه وحده تقع تبعتها ، واليه يرجع نقد الناقدين ، وطعن الطاعنين وفي ضوء تلك الفكرة أرى في ظلامها كتب الدكتور ما كتب عن أبي حيان ، وحكم عليه بما حكم ثغرات احكامه بعيدة عن الدواب بعد الفكرة التي صدرت عنها حكم الدكتور على التوحيدي بأنه متعامل على معاصريه وضرب لذلك أمثالا لا تؤيد حكمه ، وانما تؤيد ظلمه العنيف له وقسوته عليه . ومن ذلك ما كتبه في ترجمة أبي عبد الله المرزباني (١٢ / ٣) : « كان معرفاً بسعة المعرفة وكثرة السماع ، وكان معاصريه يردونه من محاسن الدنيا ، ومنهم من يقدمه على الجاحظ . ولعل ذلك هو السبب في تحامل بعض المفرضين عليه »

كأبي حيان التوحيدي الذي كان يقارنه بابن شاذان وابن الخلال من كان لهم جمع ورواية وليس لهم فيما جمعهه نقط ولا إعجاب ، ولا إسراج ، ولا إجماع ، ومن المدهش حقاً ان الدكتور بنقم على التوحيدي هذا الرأي ويتهمه من أجله بالتحامل ، ثم لا يلبث الا قليلاً حتى يعرضه علينا على انه رأيه الذي ارتآه بعد طول البحث وكثرة المراجعة كتب في (ص ١٢٣) في نقد بيض كتب المرزباني يقول :

« وبعد المراجعة المتعددة لم نظفر بما يميزه عن غيره من مصنفي الروايات والأخبار » .

وليس بين الرأيين من فرق إلا ان الثاني نفس الأول وقائله الدكتور فهو وليد الانصاف وحسن النية . وصاحب الأول ابو حيان فهو إذا دليل التحامل وسوء الطوية . ومن ذلك ما كتبه الدكتور في ترجمة ابن مسكويه (١٤٦/٣) : « قد أولع التوحيدي بهاجمة ابن مسكويه . ورماه بمدح الجود باللسان ، وابتثار الشح بالفعل ، وادعاء الحكمة ، والتكاف في الأخلاق . ولننظر كيف يقول : قال لي مسكويه مرة : أما ترى الى خطأ صاحبنا ابن العميد في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة ! لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق . فقلت بعدما أظال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ ، اني أسألك عن شيء واحد فاصدق فانه لا مدب للكذب بيني وبينك : لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أو جاهلاً بحق المال ؟ أو كنت تقول : ما أحسن ما فعل ، وليته أربى عليه ! فان كان الذي تسمع على حقيقته فاعلم ان الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف وتختار الاختار ، فافطن لأمرك ، واطلع على مترك وشرك » طار الدكتور فرحاً بهذا الحديث ونقله مرتين (في ص ١٣٧ وفي ص ١٤٧) وعقب عليه في الأولى بقوله : « ولو انه حاسب نفسه بمنزل ما حاسب به ابن مسكويه لرأى ثورته على أهل زمانه تأخذ وقودها من قلب حاسد حقود » وعقب في الثانية بقوله : « ونحن نعرف سر هذا التحامل من جانب التوحيدي ، فقد كان شديد الحقد على المجدودين من أهل زمانه وخاصة من اتصلوا بالملوك والرؤساء . ولنا أن نصيف الى ذلك نجاح ابن مسكويه في حياته العملية فقد كان الرجل فيما يظهر مزين الأخلاق ، ومثانة الخلق قوة مرعبة يرعد لها الأدياء المساكين الذين ابتلوا بالطمع في هدايا الملوك والوزراء وألقوا التزلف والتودد الى أقطاب المال والجاه . والأدب الذي يعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الذاتية يعيب

في الأغلغ غريباً بين معاصريه من الأدباء ، فليس عجيباً أن يتعامل أديب
 متشرد أفاق كالتوحيدى على أديب موفق مطمئن يعيش كابن مسكويه . ولو
 شئنا لأضفنا نزعاً ابن مسكويه الفلسفية فهي كذلك من أسباب حقد التوحيدى
 عليه فقد كان التوحيدى واسع الثقافة إلى حد مدهش ، وكان يطمع في التفرد
 بالسمعة العلمية والأدبية والفلسفية بين رجال ذلك العهد . ليس فيما قاله أبو حيان
 لابن مسكويه وهو يحاوره في جائزة ابن العميد تحامل دفعه إليه الحسد والحقد
 كما يقول الدكتور ، وإنما فيه الصدق والانصاف اللذان يحمدها عليهما أجل الحمد .
 أما الصدق فلأنه صرح ابن مسكويه برأيه ، وأبان له خطأه في لوم ابن العميد
 على إجزال عطيته لمن رآه أهلاً لها ، وأما الانصاف ففي دفاعه عن تصرف
 ابن العميد مع ما بينهما من ألوان العداوة وصنوف الشحنة ، وان كان
 هناك حسد وحقد فيجب ان يوصف بهما ابن مسكويه الذي حسد صاحب
 الجائزة على جائزته ، وثارت ثأرتة على صاحبه ابن العميد وثأر منه على ما بينهما
 من صفاء وولاء . ومع هذا يصفه الدكتور بأنه متين لا خلاق ! . يصف التوحيدى
 بالحسد والحقد والتحامل ! وهذا تحامل عنيف واسراف في اختلاق المحاسن
 والمساوي وتوزيعهما وفق ما تشتهيبه النفس المغرضة ، ويمليه الهوى الجوح . وقد
 دفعه تحامله لى ان يصف التوحيدى بأنه أديب متشرد أفاق ألف التزلف
 والتودد الى أقطاب المال والجاه قد تحامل على ابن مسكويه لأنه أديب مطمئن
 العيش قد اعتمد على نفسه وعلى خاقة ، وعلى كفايته الذاتية ولم يطمع في هدايا
 الملوك والوزراء . وليس ذلك من الحق في شيء فقد تزلف ابن مسكويه وتودد
 الى أقطاب المال والجاه ، وعاش ما عاش على مال الأمراء والوزراء الذين صحبهم
 وعمل لهم : خدم الوزير المهلبى ولما توفي سافر الى ابن العميد وظل في خدمته
 حتى قضى نجه فاتصل من بعده بابنه أبي الفتح ابن العميد ، ولما دالت دولته
 سارع الى عضد الدولة بن بويه . وهكذا كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات

في خدمة الأمراء والوزراء . فلا يَفْضَلُ أبا حيان من تلك الناحية ولكن الهوى الغلاب يسبغ على من يشاء ما شاء من الصفات والميزات وان لم تثبت للنقد إلا بمقدار ما يلقفها . ولعل أعظم دليل على إغراق الدكتور في التحامل على ابي حيان وإسرافه في ظلمه ما عقب به علي رأي ابن خلكان الذي نقله عنه (١٩٦/٢)

روى ابن خلكان ان ابن نباتة السعدي مدح ابن العميد بقصيدة مطلعها :

يرح اشتياق وادكار وطيّب أنفاس حرار

ولما تأخرت صنته عنه شفعها بأخرى ، وأتبعها برقعة فلم يزد على الإهمال فضايق بذلك ذرعاً ودخل عليه فأغلظ له القول حتى قال له : إن الغني إذا مطل لثيم فغضب ابن العميد وقال : ما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ، ولا كلفتك تقريظي . فقال : صدقت أيها الرئيس ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبيتهك وقلت : لا يخاطبني أحد الا بالرياسة ، ولا يتازعني خلق في أحكام السياسة . . . فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال . فثار ابن العميد مغضباً ، ولما سكت عنه الغضب اتهمه ليعتذر اليه فكأنما غاص في سمح الأرض وبصرها . قال ابن خلكان بعد ذلك : « ثم اني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين الى غير ابن نباتة ، وكشفت

في ديوانه فلم أر هذه القصيدة فيه ، ثم وجدت في كتاب مثالب الوزيرين لأبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف بابن السياب اللغوي المنطقي الشاعر ، وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بيوته والله أعلم » وعقب الدكتور على هذا بقوله : « ونحن نأسف على أن لم نتكهن من الاطلاع على مثالب الوزيرين ولو أتيج لنا الاطلاع عليه لاستطعنا تخطئة ابن خلكان فاننا نجزم جزماً قاطعاً أن هذا المجلس من صنع التوحيدي ، ولا يضيرنا أن النسبة لم تصح بطريقة علمية فاننا نعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبناه وعاشرناه . ولو أقيمت جملة من كلامه في أكداًس من الورق لميزناها

لأول نظرة ، فليكن الشاعر من يكون ، وليكن المخاطب من يكون فان واضح المجلس هو التوحيدى على كل حال . ولا يبقى الا أن نرجح أنه أداره على ابن العميد لاعلى غيره لان هذه الحفيظة ما كانت لتثور في هذه اقوة على رئيس غير ابن العميد الذي شغل بثله وتجرئحه حيناً من الزمان» ولست أدري ما الذي يستفيد الدكتور من الاطلاع على هذا الكتاب في تحطئة ان خلجان ولا في ماذا يخطئه ؟ أبكذبه في أنه رأى القصيدة فيه منسوبة لابن السياب اللغوي والمخاطبة للشاعر الكرخي ؟ لا سبيل الى تكذيبه في ذلك فتي ماذا يخطئه إذن ؟ لست أدري وأعتقد ان الدكتور نفسه لا يدري ! ثم يجزم الدكتور جزماً قاطعاً بأن المجلس من صنع التوحيدى مع اعترافه الصريح بأن نسبته إليه لم تصح بطريقة علمية ! وهذا دليل وهاج على ان الدكتور لا يقم للعالم وزناً ولا يسلك سبيله إلا إذا وافق ما يزينه شيطان الاعجاب ، أما إذا خالف عن أمره ، ولم يؤيد منطلق الهوى فانه ينتكبه فخوراً ، ويتبع الظن الذي يغني - عنده - عن العلم والحق كل الغناء . ولا تثريب عليه من متابعة هذا الظن الذي بناهضه العلم ولا بقره بحال من الأحوال فانه - بزعمه - يعرف التوحيدى معرفة قوية لطول ما صاحبه وعاشره ، ومن أدري بالصاحب من صاحبه ، وأعرف بالعشير من معاشره . ولو كان لهذا الادعاء العريض نصيب من الصدق لما أسرف في ثلب أبي حيان ووقف منه موقف العدو الذي لا يرقب في عدوه إلا ولاذمه ، ولو راجع عقله ، وفاتش ضميره ، ونهى النفس عن الهوى لقضى في أمره بالحق والعدل كما يصنع العلماء المنصفون .

السيد احمد صقر

(القاهرة)

المدرس بمدرسة اللبنة الفرنسية

بمصر الجديدة



مخطوطات ومطبوعات

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنبري المتوفى سنة ٥٢٢ هـ
القسم الرابع - المجلد الأول طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
في القاهرة سنة ١٣٦٤ ١٩٤٥ م في ٢٣٨ صفحة

لا تزال كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول توالي نشر أجزاء كتاب الذخيرة
بعناية لا يصدر مثلها عن غير أساتذة محنكين . ويحتوي هذا الجزء على سيرة
أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ونثره وشعره وأخباره مع المنصور بن أبي عامر
وأخبار أبي مروان عبد الملك بن شبة وأخبار دولة ابن أبي عامر وابنه بعده
وأخبار محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي وسليمان بن محمد الصقلي وثابت بن
محمد الجرجاني وعبد العزيز بن محمد السنوسي الى امثالهم من العلماء الطائرين على
الاندلس من المشرق وغيره وفي هذا الجزء أيضاً جملة من أخبار بني ذي النون وسيرة
محمد بن شرف ومنتوره ومنظومه وأخبار ابن السقاء القرطبي وشعره وأبي الحسن
علي بن عبد الغني الكندي المعروف بالحصري .

وفي هذا الجزء وصف إعدار (ختان) حفيد المأمون يحيى بن ذي النون
ومما جاء فيه في اكرام الطبقات في هذا الحفل : « دما فرغت تلك الطائفة جيء
بهم الى المجلس المرسوم لوضوئهم ، وقد فرش أيضاً بوظاء الوشي المرقوم بالذهب
وعلفت فيه ستور مثقلة مماثلة فأخذوا مجالسهم منه وناولهم الوصفاء الطائفون بهم
رفيع النقادات والذرائر المطيبات في الأقداح والأشناندانات الفضيّات المحكمة
الصناعات كادت تغنيهم بطبيها عن الفسل ثم أدنى اليهم إثر ذلك الوضوء في

أباريق الفضة المحكمة الصنعة يصبون على أيديهم في طسوس الفضة المائلة لأباريقها في الحسن والجلالة فاستوعبوا الوضوء وأوفيت من أيديهم مناديل تتضاءل لها ما عليهم من سني الكسوة ثم نقلوا الى مجلس التطيب افخم تلك المجالس وهو المجلس المطال على النهر العالي البناء السامي السناء فشرع في تطيبهم في محامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي المشوبة بقطع العنبر الفستقي بعد ان 'نديت اعراض ثيابهم بشايب ماء الورد الجوري' يعب فوق رؤوسهم من أواني الزجاج المحدود ، وفيأشات البلور المحفورة ثم أدنى اليهم قوارير المما المحكمة الصنعة الرائعة الهيثة قد أترعت بالفوالي الذكية ، النامة بسرها قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التبيتي ومحض العنبر المغربي ، لأم بينها رشح البان البرمكي فتناولوا من ذلك حتى لأقطر سبالهم ذوبانا ، واعادت شيبهم شبانا فلما استتم هؤلاء الخلة نعم يومهم من طعمهم وطيبهم أقيموا للدخول على المأمون ٠٠٠ ثم وصف القصر والأبياء ، وما فيها من صور وتقوش . قال ابن حيان (مؤرخ الأندلس) : وذهب المأمون الى تميم تكريم زواره من رجال الأمراء الذين استحضروهم يومئذ لشهود فرحته ، بمشاهدة مجلس خلوته ، وتنعيم اسماعهم بلذات اغانيه ، وقد علم ان فيهم من يرخص في التبيد ولا يسوغ لهم نعيم دونه ، فاحتمل حرج ذلك مبالغة في تأنيبهم ، فاحتفل لهم في مجلس قد نُضد وأحضر فيه جميع آلات الأناج ، فلما استوى بالقوم مجلسهم واشترأبوا الى الأخذ في شأنهم ، قرب اليهم أطعمة تنورية ، جوامد وباردة ، وصنوفاً من المصوص والأشربة والطبايح ، موائد مترعة يتخذوها بسطاً لتبيدهم ، ثم انثنوا الى الشراب ونفوسهم به صبة ، وقد مدت ستارة الغناء لأهل الحجاب ، ونظمت نوبة المقنين زمراً فهاجوا الاضطراب واستحقوا الألباب وتقلوا الطبايع فجاءوا بأمر عجاب . . .

محمد كرد علي

بوصف تلحق ؛ علم الاجتماع الديني

قد يكون من الصعب جداً في الوقت الحاضر ان يؤلف العلماء كتاباً في علم الاجتماع العام مستوفياً جميع الشروط العلمية الصحيحة . وقد يكون أصعب من ذلك ايضاً ان يضعوا كتاباً صحيحاً مضبوطاً في علم الاجتماع الديني . والسبب في ذلك ان حقائق علم الاجتماع لم تصبح بعد نهائية كحقائق العلوم الرياضية والطبيعية . فاذا اراد العالم ان يعرض مسائلها بأسلوب علمي واضح ، ويرتب مبادئها وقوانينها ، لقي في ذلك عناء كبيراً لفقدان كثير من الحلقات المتوسطة ، ولعدم استقرار الحقائق الاجتماعية على شكل نهائي ثابت . ان علم الاجتماع حديث النشأة ، وموضوعه كما قال (ادغوست كونت) اكثر موضوعات العلوم تعقداً واشتباهاً . والموضوعات المعقدة تحتاج الى طريقة علمية مضبوطة وقواعد ثابتة دقيقة . فاذا أخل العالم بأصل من أصولها ، او أهمل شرطاً من شروطها ، تاه في بيداء الوهم وضل سواء السبيل . وقد يظن انه ادرك خاتمة المنشودة وبلغ العلم اليقيني ، وهو في الحقيقة لم يدرك الا البرق الخلب . ان السيارة المفككة المحاور تكفي للسير بسرعة في الطريق المعبدة ، اما الطريق الوعرة فحتاج الى سيارة محكمة التركيب قوية المحرك . لذلك كانت المباحث الاجتماعية أحوج الموضوعات العلمية الى طريقة مضبوطة راسخاء تام ، ولذلك ايضاً كان أقل خطأ في الاستقرار والتحليل باعثاً على التعليل الفاسد والتفليل . وما يصدق على علم الاجتماع العام ينطبق ايضاً على علم الاجتماع الديني ، لا بل هو في هذا العلم اظهر واين . لأن موضوع علم الاجتماع الديني كما قال (دور كهايم) ، انما هو البحث في العقائد والفرائض والأفعال المتعلقة بالأشياء المقدسة . فيه يميز الحرام من الحلال ، والمقدس من غير المقدس ، والطاهر من النجس . وهي أمور منقولة اليها بالتربية والتقليد والتلقين . لا حيلة لنا في الأخذ بها أو في ردها . فقد نشأ على العقائد الدينية الموروثة كما قال الغزالي بتقليد

والوالدين والمعلمين . ثم قد يتحرك باطننا الى طلب اليقين فتتكشف لعقولنا حقيقة الدين انكشافاً لا ريب فيه فنرضى بها ونطمئن اليها . وقد يتسرب الشك الى قلوبنا فنردها ، وتقاوم الرأي العام نجز وجنا عليها ، الا انها في جميع هذه الأحوال لا تخلو من صفة الجبر . بل تفرض علينا فرضاً ، وتضغطنا ، وتضطرنا الى اتباعها . وهذا يدل على ان الأمور الدينية ليست من الأمور الخارجية المستقلة عن نفوسنا بل هي خارجية وداخلية معاً . ومتى كانت الأشياء الخارجية ممزوجة للارادات والعواطف كان اتباع الطريقة العلمية فيها اصعب وادق .

ومع ذلك فان علماء الاجتماع لم يعجزوا عن السير في طريقهم الذي انتهجوه فقرروا اولاً ان الظواهر الاجتماعية اشياء خارجية غير مسيرة بارادة الانسان ، وانه لا يجوز الاقتصار في تحليلها على العوامل النفسية الفردية ، وانها خاضعة لقوانين طبيعية ضرورية كغيرها من الظواهر . ثم انهم سلكوا في بحثهم عن هذه القوانين طريقة علمية صحيحة ، مبنية على الاستقراء والتحليل ، والاستقصاء والمقارنة . وساروا في ذلك قدماً حتى بلغوا بعلم الاجتماع ، خلال نصف قرن ، درجة من الضبط ، قلما بلغها علم من العلوم في نشأته الأولى . وهذا يبشر علم الاجتماع بمستقبل عظيم ، قد يكون له في اصلاح الحياة الانسانية اثر عميق ، لأن نطاقه سيكون واسعاً ، تدخل فيه الحياة المنزلية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والحقوقية ، والدولية ، والدينية ، والفنية .

لقد اثارت آراء (دور كهايم) في علم الاجتماع بصورة عامة ، وفي علم الاجتماع الديني بصورة خاصة ، ضجة عظيمة . مسانته بعضهم لقوله بروح اجتماعية كلية مختلفة عن النفس الفردية ، وزعمه ان هذه الروح وجوداً حقيقياً شبيهاً بوجود الدوات الروحانية والعقول المفارقة . وانتقدوه أيضاً لزمه ان العقائد الدينية والفرائض والأخلاق هي أشياء خارجية ليس غير . ولكن علم الاجتماع قد صحح بعد ذلك كثيراً من هذه الآراء ، فأخذ مبدأ التقيد الطبيعي ، واعتمد على الملاحظة ، والاحصاء ،

والتاريخ ، والمقارنة . ومهما يكن من أمر فإن علم الاجتماع لا ينكر وجود الديانة ، بل يعتبرها اصلاً ضرورياً من أصول الحياة الاجتماعية . وغاية ما يرجوه علماء الاجتماع ان يعللوا نشأة الديانات المختلفة ، ويبينوا مراحل تطورها ، بطريقة علمية وضعية ، من غير ان يتعرضوا للبحث في أصلها السماوي بالنفي او الاثبات . وفي الكتاب الذي جمعه السيد يوسف شلحت دليل واضح على ذلك . وهو فيما نعلم اول محاولة باللغة العربية للبحث في نشأة الديانات بطريقة علمية . الا ان هذه المحاولة كغيرها من المحاولات في اللغات الأجنبية ، لم تبلغ بعد درجة العلم اليقيني . ففيها كثير من الآراء والنظريات ، وفيها كثير من التردد والالتواء ، وهي مستثيرة ، كما قال (دور كهايم) نفسه عن آرائه ، دهشة القراء . وهذا لا ينقص من قيمتها ، بل انه سيدفع الباحثين عن حقيقة الديانة الى الاقتباس منها ، او الى تقددها ، ويبان نقاط الضعف فيها ، للوصول الى ما هو اتم واكمل . ان العلم اليقيني لا يخلق كاملاً كما خلقت (فينوس) ، بل يتكامل شيئاً فشيئاً ، ويتبع في نشوئه مراحل كثيرة منها ما هو تقدم وارتقاء ، ومنها ما هو تأخر والتواء ، ان الأتنيار الكبيرة لا تتكون الا من اجتماع الجداول الصغيرة . وحسب مؤلف هذا الكتاب ان يكون احد هذه الجداول .

صحيح صليبا

www.alukah.net

الدكتور ولجم تتكل ؛ أفتنة الحب

قله الى العربية وشرحه الاستاذ أحمد سامح الخالدي ونشرته مكتبة فلسطين العلمية

طبع بمطبعة بيت المقدس في القدس عام ١٩٤٦ ، وعدد صفحاته ١٦٤ من القطع الوسط

ليس في الكتب النفسية كتاب هو أمتع ولا أفتنح من الكتب المشتملة على وصف الحياة الباطنية . تقرأ الكتاب في ليلة واحدة او ليلتين فيخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم ، تطل منه على العواطف المكبوتة والغرائز المكنونة والأحلام المرموقة . ثم إنك اذا اطلعت على ذلك كله أدركت ان كثيراً من أفعالنا وانفعالاتنا

واراداتنا إنما يرجع الى ميل مكبوت أو نزعة مخنوقة دفناها في القلب ثم حلنا بينها وبين العالم الخارجي بحجاب الترية وقيود المجتمع . ولكن هذه الرغبات المدفونة وراء حجاب الشعور لا تموت ، بل تتجمع بعضها فوق بعض ، ثم تمزق أكتافها وتحاول الظهور على مسرح الشعور بمظهر جديد . وقد تطالب بحقها أكثر من ذلك فتثور على الحياة الواعية ، ويتبدى إذ ذاك نزاع شديد بينها قد يؤدي في النهاية الى الجنون .

وفي الكتاب الذي بين أيدينا وصف للأثمنة التي انغطى بها نزعاتنا ورغائبنا المدفونة كقناع العمى الارادي وقناع الحساسية الشديدة ، وقناع الباعث الجنسي ، وقناع التردد ، وقناع الخوف من طيب الأسنان ، وارادة المرض والقبح ، وضعف الارادة واختيار المهنة وغيرها سلك المؤلف في تحليلها طريقة أستاذه (فرويد) الذي أرجع كل شيء الى الغريزة الجنسية .

ومن الأمثلة الدالة على العمى الارادي ضيق المجال البصري عند بعضهم وتعاميمهم الارادي عن رؤية الأشياء ، وانصرافهم الى التحديق في فكرة محدودة راسخة ، ورغبة بعضهم الآخر في كل شيء حتى يشبهوا دوامة الماء التي لا تعرف الوقوف . فهم ابدأ في شغل شاغل يخشون ان تمر بهم ساعة فراغ ، ويشغلون انفسهم ليمنعوا من التفكير فيما لا يريدون أن يفكروا فيه .

ومن الأمثلة الدالة على الحساسية الشديدة حال الذين تتوتر أعصابهم فيتألمون من أقل ضجة ولا ينامون الا اذا سكن كل شيء ، وقد يفترون الى القرى طلباً للراحة فلا تعرف الراحة سبيلاً الى قلوبهم ، لأن آلامهم ناشئة عن سبب داخلي ، يخشون تمتمة صدورهم ويفرقون من سماع أصوات غريبة تدوي في آذانهم ، « بل من رنين او طنين او دق مستديم يشبه دق الأجراس » (ص - ٤٢) .

ومن الأمثلة الدالة على اقنعة الباعث الجنسي وقوع بعض الناس في امراض تعجز عن تعليل اسبابها ، وتكون امراضهم هذه بمثابة قناع يغطون به حجبهم .

وأقنعة الحب ثلاثة : الحياء ، والشوق ، والاحتقار . أما الحياء فهو اعتراف بالغريزة الجنسية وإخفاء لياعث الحب . وأما الشوق فهو دليل على الخوف من الذات . وله أشكال مختلفة ترجع جميعها الى اصل نفسي يحوله المريض الى إحساس . فالسيدة التعمة يجيها تنكر أسباب شقاتها فتحولها الى ضيق في الصدر ، وأوجاع في القلب . والسيدة التي تكره زوجها وترغب في . ووته من نوبة صرع قد تصاب في نفسها بخوف مرضي يشبه هذه النوبة . ومثل هذا كثير فهناك فتيات كن يعشقن رؤساءهن ، وطالبات كن يعشقن اساتذتهن ، ونساء كن يجبن اصدقاء رجالهن ؛ أخفين اسرارهن حتى عن أنفسهن فأصبن بآلام القلب وضيق التنفس العصبي او الربو او ببعض الاضطرابات العضوية الأخرى . وأما الاحتقار فهو رغبة نعب عنها تعبيراً سلبياً فكم من أوجاع في المعدة ليست سوى اضطرابات عصبية يمكن ارجاعها الى احتقار لا شعوري . ان بعض الفتيات اللواتي يمتنعن فجأة عن أكل اللحوم يحترقن كل ما يمت الى الجسد بصلة ، فينقلب احتقارهن للجسد الى احتقار للغذاء . واكثر النباتيين المتعصبين انما يرجع تعصبهم الى مثل ذلك . وقد وصف المؤلف كثيراً من أقنعة اله الحب كالأرق ، وجنون السرقة ، وجنون الحريق وغيرها . قال انه عرف طبيباً عذبتاً أسس جمعية لمقاومة الأمراض التناسلية ، واستاذاً فاضلاً كان قد اخذ على نفسه ان يفتش جميع المخازن التي تبيع رسوماً مخلة بالآداب جاءه يوماً وهو يرتعش من شدة القلق لسلوكه سلوكاً شائناً مع إحدى الفتيات ، وقاضياً كان عديم الشفقة على الذين يخلون بالآداب العامة عثر عليه يوماً مقتولاً في مكتبه لارتكابه حادثة مخالفة للشرف . وفي الكتاب أمثلة كثيرة غير هذه . الا انها لا تخلو من المبالغة والتعميم . فمن هذه المبالغات الأدبية قول المؤلف ان الطبيب الجراح ليس سوى قاتل أعد نفسه لطالب المدينة ثم صعد بواعثه الوحشية الى ميول سامية . وكذلك المتهاك في حب النساء يصبح طبيباً مولداً . ان المغرم بالأقدام الصغيرة يصبح صانع

أحذية ، كما ان عاشق الأنامل الجميلة يختار لنفسه مهنة قص الأظافر ، واذا كان رساماً قصر عمله على رسم الأيدي ، وقد يصبح أيضاً صانع قفازات الى غير ذلك من الأمور التي تصدق على بعض الأشخاص ولا يجوز تسميها واطلاقها على كل انسان . فالغريزة الجنسية عامل قوي مؤثر في سلوكنا ، الا انها لا تنفرد وحدها بالتأثير .

وقد نقل الأستاذ سامح الخالدي هذا الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب واضح وشرح بعض رموزه شرحاً مقتضباً ثم صدره بمقدمة وافية في التحليل النفسي . ولكن أسلوبه في الترجمة لا يخلو في بعض الأحيان من التردد ، وشرحه المقتضب لا يخلو من التكرار .

ج . ص

www.alukah.net

مجمع البيان في تفسير القرآن

ما أشد حاجتنا نحن معشر أهل السنة الى أمثال هذه التفاسير المعول عليها عند اخواننا علماء الشيعة الأممية ولا سيما ما ألف منها قبل العهد الصفوي . فكم يكون زميلنا الاستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان موفقاً في طبع هذا التفسير ونشره . مؤلف التفسير من اكبر علماء الشيعة الأممية في القرن السادس (توفي سنة ٥٤٨ هـ) واسمه (ابو علي الفضل بن الحسن الطبرمي) نسبة الى بلاد طبرستان . والتفسير يقع في عشر مجلدات غير ان الناشر اصدره في خمس جاعات كل جزئين في جلد واحد . مجموع صفحاتها ٣٠٠٠ من القطع الكبير . وقد وقف على تصحيحها فئة من الأفاضل . وطبعت سنة ١٣٣٣ هـ في مطبعة العرفان بصيدا . وللكتاب ثلاث مقدمات (١) في ترجمة المؤلف بقلم العلامة محسن الأمين (٢) بعنوان كلمة في التفسير بقلم زميلنا الشيخ احمد رضا العاملي (٣) مقدمة المؤلف الطبرمي في القرآن وآياته وقرآنه وأساميه وعلموه وفضله وما يستحب من تزيين الصوت بقراءته - وقد تضمنت هذه المقدمات ما لا يحصى من الفوائد . والمؤلف اذا ذكر الآية فصل القول فيها تفصيلاً حسناً

م (٥)

مميزاً بين المطالب التفسيرية بعنوانات خاصة : (القراءات) (اللغة) (الاعراب) (الحجة) (المعنى) . ويريد بالحجة بيان حجج القراءات المختلفة . وقد اعجبنا من المفسر توسعه في تحليل الكلمات اللغوية وسرد الشواهد عليها . كما اعجبنا إيراده معنى الآية إيراداً وسطاً لا هو بالمسبب الممثل . ولا بالمقتضب المخل . بعبارة سهلة متينة لا تكلف فيها كاهوشان الفحول من علمائنا الأقدمين رضي الله عنهم . وقد قال العلامة محسن في مقدمته : اتفقت الأئمة على توثيق المؤلف وتبجيره وغزارة مادته وقد جمع في تفسيره أنواع العلوم وما تشتمت من الأقوال مع الاعتدال وحسن الاختيار في تلك الأقوال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الخضم أو يشتمل على التهجين والتقبيح . وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك . وانظر الى ما قاله في مقدمة كتابه (الكاف الشاف في مختصر الكشاف) في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله - تعلم ان المفسر الطبرمي من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية انتهى وبالجملة فان هذا التفسير من امتع التفاسير واجمعها لفتون العلم واحسنها ترتيباً لها . وإيراداً لمسائلها ، ووصفُ الشيخ محسن للمؤلف (بالاعتدال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي) حق وهو من أجل الأوصاف التي يجب ان يتحلى بها رجال الفرق الاسلامية . وقد شاهدنا اثر اعتدال المؤلف وتأدبه في ص ٣٢ من الجزء الخامس عند تفسيره لقوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأبداه بينود لم تروها) وقد أرجع المؤلف ضمير (عليه) الى النبي ﷺ ثم قال ما نصه (وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي في هذه الآية بالسكينة - (اي دون ابي بكر) - كلا ما رأينا الاضراب عن ذكره أخرى لثلا بنسبنا ناسب الى شيء) اقول ولعمري ان الاضراب عن ذكره حسن . وأحسن منه عندي ان لا يضرب عنه بل يأتي عليه ثم يخاطب الفريقين الأخوين بتهجين هذه الأبحاث المتكفة في تفسير القرآن الذي ألف بين قلوب المسلمين

فقام المسلمون وخالفوا القرآن: ففرقوا ذات بينهم . وجرّوا انفسهم بأيديهم الى حينهم .
وقال المؤلف في تفسير الآية نفسها قولاً نوافقه عليه كل الموافقة . وهو ان بعضهم
جوز ان تكون الهاء في (عليه) راجعة الى ابي بكر (رضي الله عنه) على معنى
ان الله ألقى في قلب ابي بكر ما جعله يسكن ويهدأ بعد الجزع . قال المفسر
الطبرسي (وهذا بعيد لأن الضمائر المذكورة قبل (عليه) وبعده تعود كلها الى
النبي بلا خلاف : (الا تنصروه فقد نصره) (إذ أخرجه) (لصاحبه) — وأبده)
فكيف يتخلل هذه الضمائر ضمير (عليه) العائد الى غير النبي انتهى ما قاله المؤلف
وقد اصاب فيه كل الاصابة : لأن كلام الله اذا ذك ببق حسن الرتل . متلائم
الأجزاء . لا تشاخص فيه ولا تفكك ولا خروج عن الصدد . والخروج عن الصدد معيب
اذا وقع في كلام الخطباء . وحديث الجلساء . فكيف تُقرء في كلام رب الأرض والسماء .
ويا ليت المؤلف مذ قال هذا القول هنا اي في آية (فأنزل الله سكينته عليه)
أفقاله في آيات (يا نساء النبي استن كما حد من النساء . . . فلا تخضعن) (أي يا نساء
النبي) وقلن (اي يا نساء النبي) وقرن (اي يا نساء النبي) ولا تبرجن (اي
يا نساء النبي) وأقمن الصلاة (اي يا نساء النبي) وآتين الزكاة (اي يا نساء النبي)
وأطعن الله (اي يا نساء النبي) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً (اي يا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) واذكرن ما يتلى
في بيوتكن (اي يا نساء النبي) : فقد قال المؤلف اختلفوا في مراد الآية
(بأهل البيت) : فقال عكرمة أراد أزواج النبي (ﷺ) لأن اول الآية
تتوجه اليهن . وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك ووائلة ابن الاسقع وعائشة
(إحدى الأزواج المخاطبات اولاً!) وام سلمة (إحدى الأزواج المخاطبات
أيضاً!) ان الآية (اي آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس المتخللة في
الآيات) مختصة برسول الله (ﷺ) وعلي فاطمة والحسن والحسين) ثم ذكر
المصنف أحاديث ذكر فيها ان المراد بالآية سادتنا الخمسة المذكورين وختمها بقوله :

تجمع بين منانة اللغة العربية . وصحة أسلوبها — وبين استعمالها في الفنون العصرية والمطالب الاجتماعية الحديثة . غير انه لم يُبتح لعبد الله فكري التملص بتاناً من السجع الموروث . وكان يشايعه على هذا التجديد في الأدب زعيم آخر من وزراء مصر هو علي باشا مبارك (مؤلف كتاب (علم الدين) الذي لم يصدر منه سوى اربعة أجزاء . وقد كُتبت قرنته لأول ما صدرت طبعته في الاسكندرية . فكنت اجد فيه وفي صاحبه ما وجدته في الرحلة البعلبكية ومذنتها من حيث محاولتها التجديد في الأدب العربي وسلوك منحنى عصري فيه . وكان في الأستثانة لذلك العهد أناس آخرون من أبناء العرب بنحون منحاهما ويعملون على شاكتهما وهما (الطويراني) و (السلوي) واشياعهما .

وقد بقي هذا الأدب الجديد المسجع موضع اهتمام القراء حتى ظهرت جريدة العروة الوثقى التي كان ينشؤها استاذنا (محمد عبده) في باريس على عين من السيد (جمال الدين الأفغاني) فكان هذا مبدأ عهد جديد في أساليب الانشاء العربي وتوجيه الأدب عامة الى خدمة الاجتماع الاسلامي والسياسة القومية وانعاش الاخلاق الدينية والدعوة الى الاصلاح في هذه المطالب الثلاث . فلا جرم ان كان هؤلاء المنشئون من كتاب العرب هم زعمائنا في هذا الفتح الجديد وتمهيد الطريق اليه . والكتاب الذي أمامنا في ترجمة حياة عبد الله فكري فيه الشواهد الكثيرة على ما قلناه من أنه كان مجدداً في (عصره) و (حياته) و (أدبه) وقد فصل هذا كله الفاضل (محمد عبد الغني حسن) مؤلف الكتاب احسن تفصيل . وابرده في اجل أسلوب . والطف تعبير : والكلام في ترجمة المترجم يتصل بالكلام في حالة الجيل الماضي الذي عاش المترجم بينهم . وكانوا تلاميذ مدرستين : مدرسة التعليم الديني . ومدرسة التعليم المدني . ولكل من المدرستين كتب وطرائق واساليب . فوصف المؤلف كل هذا وحده موقف المترجم من تعاليم المدرستين . ورجال المدرستين . ثم وصف اخلاق المترجم وعصاميته وشعره ونثره وآناره الأدبية . رحلاته الى اوربا وسورية . وذكر اصدقائه

هنا وهناك وهناك ولا سيما علاقته بالشيخ محمد عبده وشهادة الشيخ فيه وتعلق الأمير شكيب بصداقته منذ حداثة . قال الأمير (وكان الشيخ عبده شديد الحب لعبد الله باشا فكري لا يقشأ يذكر محامده وكان يعجبه من شعره قوله مخاطباً للخديوي توفيق :

(ولو شئت كانت لي زروع وأنعم ومال به الآمال أقتادها فسرا)

(ولكنها نفس فدتك أبيت تعاف الدنيا ان تمر بها صرا)

والكتاب بمجموعه طرفه أدبية لا تمل قراءته . ولا تنتهي فرائده . وللقاري هذا النموذج منه وقد وصف المؤلف فيه (الرحلة البعلبكية) التي أشرت إليها في صدر الكلام . ولعل ما في هذه الرحلة أظرف مداعبات المترجم ومضاحكاته . وقد كان بينه وبين (الشيخ عبد الحميد الخاني) (وهو المخاطب في الرحلة) مكاتبات تدل على ما كان بين المترجم وبين أعيان دمشق من الحب وخلوص الود . وكان للسيد الخاني (لازمة) يستعملها في الحديث هي لفظة (المدهش والمدهشات والمنعش والمنعشات) فكان اصداقؤه المصريون يتندرون بها عليه . ويودعونها رسائلهم اليه . حتى ان الأستاذ الشيخ محمد عبده كتب اليه من رسالة فقال : (ويهدي الي حضرتكم التحيات المدهشات والتسليمات المنعشات حضرات الأساتذة (فلان وفلان) . وافتتح عبد الله باشا فكري خطابه الى السيد الخاني في (الرحلة البعلبكية) بقوله (اهدي اليك من منعشات التحية والسلام ، وتلو عليك من مدهشات الشوق والفرام ما يحمل إجماله لواصفه ولا يلزم تفصيله لعارفه) .

وفي هذه (الرحلة البعلبكية) ما فيها من ظرف عبد الله فكري وأدبه وخفة روحه حتى لقد أرسل نفسه على سجيته مع الشيخ الخاني (ينتقل به من دمشق الى دمر الى الفيحة . ويصف المكاري الذي حمله على حصانه وقد ضلت به السبل . وتشعبت أمامه الطرق . ولعن الحصان الذي تحته وسبه . وألحق به دينه ومذهبه . ومن باعه ور كبه . وامواته واحياءه . وعشائره واحبائه . فلما وصل الى رأس السوق (سوق وادي بردي) التمس داراً للمقام والتمس غذاء فلم يجد غير دجاجات اضلتين

أبدي الحدثان . وافلتتهن محالب أنسر لقمان قد وعين الطوفان . وتطاول عليهن تقادم الزمان . فما زلن يصابون الأيام وبواصلن الصيام . حتى يبسن وسمجن . وفني عليهن الخطب ولم ينضجن) ثم عاد فشكا في الرحلة تيبس المداد في بعلبك بقوله (أشكو من هذا المداد الجامد . مالا أشكوه من المكاري البارد) ووصف توقف القلم عن الجري على القرطاس بقوله (فيقف عن جولانه . وقفة الحمار في المدار . ويثبت في مكانه . ثبوت المسار في الجدار الخ

أقول وللشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس المسماة النخفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية) وصف للصعوبات والمشاق التي قاماها في تلك الجبال وعقابها والأودية ووادها تشبه في الجملة ما قاله عبد الله باشا فكري في رحلته البعلبكية وبين الرحلتين ٨٠ سنة .

(ملاحظة) قرأنا في إحدى الصحف المصرية بالأمس ان كتاباً في ترجمة (عبدالله باشا فكري) ألفه الأستاذ السيد العناني وقدم له الشاعر خليل بك مطران .

المغربي

(من عجريات نساء القرن ١٩)

جزؤه الأول تأليف السيد يوسف يعقوب مسكوني

طبع في بغداد سنة ١١٢٦ م

عنى بوضع هذا الكتاب الأستاذ الموما اليه وقد أراد ان يجمع شتات ما تفرق من تراجم شهيرات النساء المعاصرات فضمن جزءه الأول ثلاثاً منهن . وكأنه أراد ان يشير بهذا الجمع الى ان نهضة المرأة العربية لم تكن مقتصرة على طائفة واحدة من اقوام الأمة العربية وانما النهضة كانت عامة شاملة نساء الطوائف كلها فترجم للسيدة عائشة التيمورية (المتوفاة سنة ١٩٠٣) راضياً بها الى المرأة العربية السنية ثم للسيدة وردة اليازجي (المتوفاة سنة ١٩٢٤ م) راضياً بها الى المرأة العربية المسيحية ثم للسيدة زينب فواز (المتوفاة سنة ١٩٢٤ م) راضياً بها الى المرأة العربية الشيعية

والكتاب في ٢٣٦ صفحة وزع المؤلف الكلام فيها على الثلاث توزيعاً يكاد يكون متساوياً . وقد بسط القول فيهن وفي آثارهن وأخبارهن بسطاً شافياً مزيناً بصورتين للمترجمين الأولين عدا مقدمة بقلمه أوجز فيها القول عن نهضة المرأة من حيث هي امرأة: ماميتها وأخلاقها وطباعها والمقارنة بينها وبين الرجل وزواجها وأخيراً (هي تاج الرجل ولكن أين هي ؟)

وانا لشاكرون له سعيه الجليل في وضع هذا التصنيف المفيد وهو موفق الى إتمامه إن شاء الله .

المعربي

✽✽✽

ضوء في تاريخ التوحيد

البحث الأول

التصوف في نظر الاسلام

تأليف الأستاذ احمد صبري شويحات

أهدى الينا صديقنا الأستاذ محمد افندي نصيف كتاب « الضوء » ورغب إليّ أن انشر في مجلة مجمعنا العلمي الكريم رأبي فيه ، والذي يعن النظر في هذا الكتاب ويسير على ضياته ، يرى أن عنوانه جزء من أجزاءه ، فهو لم يقصر بحثه على التصوف في نظر الاسلام كما يؤخذ من عنوانه ، بل جاوزه إلى النظر في حقيقة التصوف العامة في العالم كله ، وعمد إلى تفسيرها وتجليه غوامضها ، وتعب عواملها ، وأغراضها بين مختلف الشعوب كما أشار إلى ذلك في طليعة كتابه .

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على ستة أبواب كبرى أدخل في كل باب منها فصولاً تناسبه ، وجعل بعض تلك الفصول أصولاً لمباحث اشتقها منها وبنائها عليها . والكتاب في مجلته يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة بقطع الربع ، وها هي ذي عناوين أبوابه الستة :

(١) نشأة التصوف مع الانسان (٢) فطرة الانسان واحدة وسلوكه مختلف

(٣) منابع الفطرة في الجزيرة العربية (٤) البيت العربي (٥) العقل

العربي (٦) الدين العربي .

وأما الفصول التي جمعت أصولاً لغيرها فمنها فصل أصل العالم، وفطرة البدن السليم، وفطرة النفس المطمئنة، وهذه الفصول الثلاثة داخلة في الباب الثالث (منابع الفطرة) .
ومن مباحثه الخلقية ما كتبه تحت عنوان : أم مريضة بطبيعتها ، الضعف العقلي أساس المرض التناسلي ، الفسق من عوامل الانقراض ، مصارع المراهقة ، الشذوذ الجنسي ، الصوفية والشذوذ الجنسي » .

هذه مجملات من أبواب الكتاب وفصوله ، وهو في جملة ذم للتصوف عند جميع الأمم ، ورمي لأهله بالفسوق والمروق والضعة والخمول ، وهذا التعميم غير جار على سنة القرآن الحكيم ، الذي يزن بالقسطاس المستقيم ، فالتصوف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا وعرضاً الأذى وإثارةً للأخرة عليها وجهاداً في سبيل الله وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس ؛ وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ، ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم ، ثم حدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسماً نكحاً وزهداً وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ، صار آراءً فلسفية تنقل فيها أهلها إلى القول بالحلل والاتحاد . ثم انقلب إلى شعبية وشعوذة وتغريب بالبسطاء وتزلف للحكام ، واكل لأموال الناس بالباطل .

وكان على المؤلف - وهو يستعرض التصوف القديم والحديث عند جميع طبقات البشر - أن ينوه بمتصوفة الوطن الذين جردوا أنفسهم لخدمته ، واستنفدوا جهودهم في سبيله ، كزعيم مصر سعد ، وكفاندي الهند ، وأن يتناول بدمه من اتخذوا لتصوفهم مواسم ومراسم يطلعون فيها على الناس بأزياء وألوان وهيئات غريبة تشبه في مظاهرها عيد المسافر عند بعض الأمم ؛ وكان من حق الحكومة الإسلامية التي تدعى إليها وتشارك فيها أن تمنعها لأنها تقام باسم الدين الذي يبرأ منها ، ويعد أهلها من الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً .

وقد وقع المؤلف في أغلاط دينية كبرى ما ندري ما الذي جرته إليها أو جرته عليها ! ، فمنها تعريفه للدين بأنه « تجنب السلوك بما يخالف الفطرة » « أو هو الكيفية التي توحى بها الفطرة السليمة حل المشاكل الانسانية » ص ٤٣ ، وهذا دين غير اسلامي ولا سماوي ، لأنه يستمد الإلهام والنظام من الفطرة الانسانية لا من الشرائع السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه وأرسلهم بها الى الناس ، وليس منبع الدين النفس ولا مصدره الإلهام ، ولكنه وضع إلهي ، ووحى سماوي ينير للفطر السليمة طريق السعادة العظمى .

(ومنها) تفسيره للسبع المثاني بقوله :

« السبع المثاني - على خلاف رأي الأعاجم من المفسرين - هي الأربعة عشر حرفاً التي أقسم بها الله في أوائل السور في مثل قوله « الم » الخ « ثم قال » : وقد غلط المفسرون بطبيعة عجمتهم حين زعموا أن السبع المثاني هي سبع سور أو سبع آيات الخ . أعلمت أيها القارئ الكريم من هؤلاء الأعاجم الذين فسروا السبع المثاني بأنها سبع سور أو سبع آيات ؟ إنهم أجلاء الصحابة والتابعين كعمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس ، وكمجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم ، واختاره ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، [راجع تفسير الآية : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، والقرآن العظيم ، من سورة الحجر ، في تفسير الحافظين ابن جرير وابن كثير] ثم من أين له العلم بأن الله تعالى أقسم بهذه الحروف الأربعة عشر ، وهي ليست إلا حروفاً مفردة ، وحروف القسم الثلاثة ليست منها ؟

حسبي بما أوردت شاهداً على جزمه بما ليس له به علم ، أو بما يعلم خلافه ! ومن الأغلاط اللغوية إتيانه بكلمة « فقط » في غير موضعها كقوله ص ٥٤ تقوم فقط على غير الفطرة وص ٨٣ لا يؤدي فقط إلى إنبهاك قوى الجسم وإضعافه و ص ٧٠ ولكننا نقرر فقط ما اشتهر من رأي العرب في الجن ، والصواب أن تكون « فقط » في آخر هذه الجمل الثلاث ، فيقال : تقوم على صورة الفطرة فقط الخ كما هو ظاهر وجملة القول : انا نرجو أن يكون هذا الكتاب داعياً الى الأخذ بما في الأمور ، وترك سفسافها .

محمد بهجة البيطار

مختصر تاريخ الحضارة العربية

تصنيف الأستاذين راتب الحسامي وجورج حدادا، في (٥٤١) صفحة من القطع المتوسط يتخللها بعض الصور . وهو من منشورات دار اليقظة العربية بدمشق . حاول الأستاذان في هذا الكتاب اختصار تاريخ الحضارة العربية في مختلف نواحيها . فبحثا في ادارة الدولة الاسلامية وحياتها الاجتماعية والاقتصادية وحرركاتها الفكرية والفنية . وقد ادركا : « بأن وضع مثل هذا الكتاب ليس بالأمر السهل نظراً لاتساع موضوعه ووفرة مادته ، وخصوصاً والايجاز والاختصار اصعب في مثل هذه الأبحاث من التطويل والاسهاب » . ويلمس القارئ في كل فصل من فصول هذا الكتاب أثراً لهذه الصعوبات ، ويتبين له ما بذله المصنفان من جهد للتوفيق بين حاجة الطالب في ألقه المحدود ورغبة المطالع الطامع في زيادة المعرفة والاستفادة .

وهذا الكتاب هو غني بمادته ، واسع بأبحاثه . والذي كنا نرجوه لو تجنب الأستاذان في أبحاثهما بعض المسائل الخلافية والتوسع فيها - لاسيما فيما جاء في فصلي الحياة الفنية والحياة الفكرية - لأمننا العثار وسلم الكتاب من الزلات والأخطاء والجدل التي تشوش على التلميذ ولا ينتفع بها . ولا ننسى ان ما يصح بحثه ومعالجته خارج النطاق المدرسي يحسن ان لا نتسامح به في الكتب المدرسية . وقد عثرنا على أخطاء تشير الى اهمها . فقد جاء في :

ص ٢٣ شاب من العباسيين اسمه عبد الرحمن الخ . وصوابه شاب من الامويين

≡ ٨٦ محمود الزنكي المعروف بالملك العادل . وصوابه محمود بن زنكي والمعروف

بالملك العادل هو سيف الدين ابو بكر بن ايوب وليس نور الدين

≡ ١٤١ بجاية في الأندلس وصوابه على ساحل افريقية

≡ ٢٥٩ زعما ان قصر المشقي من بناء الفساسنة والصواب انه من بناء الأمويين .

≡ ٢٧٥ قصر الخزنة . لا يعرف قصر بهذا الاسم واعلمه قصر خزانة الموجود في البلقاء .

ص ٣٢٢ زعموا ان زرياب أو الكندي قد زادا الوتر الخامس في العود . والحقيقة ان الوتر الخامس كان موجوداً في زمن هشام بن عبد الملك اي قبل زرياب والكندي بزمن طويل كما هو ظاهر في الصور التي عثر عليها في قصر الحير الأموي .

≡ ٣٢٦ البرونز . هي كلمة أعجمية وتعريبها الشبه .

≡ ٣٣٢ مدينة ليون بأسبانيا ، وصوابه في فرنسا .

≡ ٣٤٠ قالوا : « ويظهر انهم لم يذكروا اسم البلد الذي ضربت فيه النقود حتى اوائل القرن الثاني للهجرة » وهذا لا يتفق مع الحقيقة لأن اسم البلد قد ذكر على الدراهم الاسلامية منذ الوليد بن عبد الملك .

≡ ٣٤٦ قالوا : « ليس العصر الذي سبق الاسلام عصرأ جاهلياً لأن التاريخ أثبت ان الفكر العربي كان آنذاك نامياً ٠٠٠ الخ » وهذا تفسير مغلوط لأن اطلاق اسم العصر الجاهلي على العصر الذي سبق الاسلام يقصد منه الناحية الدينية فقط ولا يشمل الثقافة والفكر .

≡ ٤٣١ Monophysites وصوابه Monophysisme

≡ ≡ Monothelites وصوابه Monothéisme

≡ ≡ وكان مؤتمر خلقدونيا في سنة ٤٥١ لا في سنة ٤٤٨ .

≡ ٤٣٦ قالوا عن مكتبة الاسكندرية « التي اتهم العرب باحراقها » وكان من من أبولي واجبات الأستاذين ان يدفعوا هذه التهمة الباطلة عن العرب لأن المكتبة حرقت قبل دخول العرب مصر بزمن طويل كما حققه وأثبتته عدد كبير من مؤرخي الغرب حتى اصبح اليوم حقيقة لا تقبل الجدل وبعد ان عرف بأنها فرية لفقها اعداء المسلمين .

وما نعييه على هذا الكتاب المدرسي الامراف في بحث منشأ الحضارة العربية حتى يكاد القاري ان يتخيلها حضارة ملفقة من انقاض حضارات بائدة اتحلها العرب

لا أنفسهم . ولا تنكبر بأن العرب قد أخذوا عن سواهم كثيراً من معالم حضارتهم - شأن جميع الأمم في قديمها وحديثها . ولكن العرب قد امتازوا عن سواهم في صهر ما أخذوه في بوتقتهم فألبسوه حلة جديدة ضاع معها الأصل ، وكونوا منها حضارة لها شخصية واضحة مستقلة كأنها حضارة مبتكرة تتفق مع روحهم وعقليهم ودينهم الجديد ، وهذا ابرز ما في الحضارة العربية واروع ما حققه العرب وهي الحضارة الوحيدة من نوعها التي تتجلى فيها المبقرية في كل نواحيها .

جعفر الحسني

الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥

تصنيف جوزيف هويتيكير لندن ١٠٥٢ صفحة

Whitaker's Alinanack

اعتادت دور النشر الكبرى وأحياناً بعض الصحف ان تصدر دليلاً أو تقويمًا في كل عام يحتوي على مختلف المعلومات المفصلة المتعلقة بحياة البلاد التي يصدر فيها ، وعلى معلومات اجمالية عن سائر بلاد العالم . والدليل البريطاني الذي نبحث عنه هو المجلد السابع والسبعون من مجموعة تصدر منذ ١٨٦٨ بإدارة امرة هويتيكير . ويمكن القول ان هذا الدليل هو موسوعة صغيرة عن الامبراطورية البريطانية ويتألف من ١٠٥٢ صفحة مطبوعة بالحرف الصغير . وهو يبدأ بمعلومات فلكية مفيدة تتعلق بالأبراج والنجوم والمجموعة الشمسية والأرض والزمن وحساب الأوقات والروزيئات وكذلك يحتوي على معلومات عملية مفيدة تتعلق بالأوزان والمكاييل وبالرموز والاختصارات المختلفة . ولكن القسم الأكبر منه يتناول بريطانيا العظمى وحكومتها وأنظمتها الادارية . وفيه جداول كثيرة بأسماء ملوك انكلترا ونوابها ، ولورداتها ، والقاب الشرف فيها وحاملتها ، واسماء الدوائر

الحربية المختلفة وموظفيها وجداول بالمحاكم وموظفيها ، والاسقفيات واصاقتها ، وبأسماء الجامعات والمدارس الكبرى وموظفيها ، واسماء الصحف والمصارف والنوادي .
والدليل يحوي زيادة على ذلك معلومات عن مختلف أجزاء الامبراطورية البريطانية من الوجهة التاريخية ثم من الوجهتين الجغرافية والادارية فيصف حكومة كل من هذه الأجزاء واسماء موظفيها ورواتبهم كما انه يصف حاصلاتها وتجاريتها .
وأهم الأبحاث في هذا القسم تناول امبراطورية الهند . وهناك قسم في الدليل يبحث عن البلاد الأجنبية فتتناولها بلمحة تاريخية موجزة وبللمحة عن حكومتها ثم جغرافيتها الاقتصادية وتجاريتها بشكل خاص ، وكذلك يبحث في علاقة انكثرا نيا . واسماء مثلي انكثرا الدبلوماسيين والقنصلين فيها . ولا يخلو هذا الدليل من وصف حوادث الحرب العالمية الأخيرة ومحجودات انكثرا فيها ، كما ان فيه بعض الجداول التاريخية التي تتعلق باسماء الملوك والرؤساء في مختلف الدول والامير المالكة .

والمهم في هذا الكتاب انه لا توجد ناحية من نواحي النشاط في حياة انكثرا وامبراطوريتها الا ويصفها ويعطي الاسماء والاحصاءات والتواريخ المتعلقة بها ، فهو من هذه الناحية كتاب جزيل الفائدة . وحبذا لو قامت البلاد العربية — متعاونة او كل قطر بمفرده — بتصنيف دليل مثله فيكون وسيلة عملية للتعرف فيما بينها وللتعرف على تفاصيل الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في كل منها ، وعلى اسماء الرجال والهيئات القائمين بأعباء كل من نواحي النشاط فيها ، وللاطلاع على أهم الوثائق والأنظمة والقوانين التي لها علاقة بهذه النواحي .

مورج صده

آراء وانباء

— ملاحظات لغوية —

نشرت في العدد الاول من المجلد الثامن عشر القسم الخامس من مقالي الذي عنوانه (نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول) . وما ذكرته في ذلك القسم انه لا يوجد في العربية كلمة تدل على معنى (Ecussonage) بالفرنسية وهو التطعيم بالبرعم ، ويسمونه عندنا التطعيم بالرقعة ، وأنه من الضروري جعل كلمة (البرعمة) تتضمن هذا المعنى . واذا بالدكتور مصطفى جواد يأتي بعد ثلاث سنين او أكثر فينشر في عدد آب من هذه السنة (ص ٣٨١) تنمة مقال له عنوانه (التنبيه والتوجيه) جاء فيه ان الكلمة الفرنسية المذكورة هي (التطعيم) بالعربية ، وانه لا حاجة الى (البرعمة) ، ثم نراه بعد هذا الفوز بعثوره على كلمة (التطعيم) ينقل لنا عن المسعودي وعن المقرئي جملاً استعملت فيها هذه الكلمة اي التطعيم . وينهي كلامه بقوله : (وربط الثقافة العربية القديمة بالحديثة واجب راتب) .

قلت ان من أدراء هذه اللغة كون بعض لغوييها يستعملون البحث عن مصطلحات علوم لا يجيدونها . فالتطعيم بحث واسع من أبحاث زراعة الشجر ، وفيه مؤلفات ، وله اشكال عديدة كالتطعيم بالبرعم (الرقعة) والتطعيم بالفرز (القلم) والتطعيم بالثقب والتطعيم بالترصيع والتطعيم بالإيداء والتطعيم بالتصفيح وتطعيم اللحاء الخ . الخ . فكلمة (التطعيم) هي عامة تشمل كل هذه الاشكال . وليس في العربية كلمة واحدة تدل على شكل واحد بعينه من هذه الاشكال . ولا يجوز قصر معنى التطعيم على التطعيم بالبرعم . واستعمال كلمة (التطعيم) مجردة لا يفيد معنى التطعيم بالبرعم وحده بل يفيد أيضاً جميع الأشكال الأخرى بما ذكرته وما لم اذكره . ولهذا طلبت في مقالي جعل كلمة البرعمة تتضمن معنى

(Ecussonage) أي التطعيم بالبرعم . ويرى مجمع . مصر أيضاً هذا الرأي . لكنه وضع كلمة التبرعم لهذا المعنى . وقلت في مقالي المذكور ان البرعمة اصلح . ويتضح من ذلك انه لو كان حضرة الكاتب الذي ألزم نفسه بالتنبيه والتوجيه عالماً بالعلوم الزراعية لكفى نفسه وقراء مجلة المجمع مثل هذه التوجيهات الخاطئة . أما تنبيهه الى (ربط الثقافة القديمة بالحديثة) فهو كلام يجب ان يوجهه الى نفسه ، لأن الذي يبحث عن التطعيم في كتب السلف لا يستشهد بحمل أوردتها المسمودي أو المقرئزي ، بل يراجع كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وكتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام وكتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا وغيرها من كتب السلف الزراعية فيجد فيها أبحاث التطعيم كما يجد الكلمات التي استعملوها مرادفة للتطعيم كالتركيب والإشباب الخ . ومتى انتهى من تلاوة هذه الأبحاث ، وكان عالماً بالعلوم الزراعية الحديثة ، وعارفاً بمعاني الألفاظ الزراعية العربية ، جاز له بعد معالجة هذه الأمور سنين عديدة ان يدلي برأيه فيها .

أما الدكتور مصطفى جواد فان له علماً وفضلاً ولكن في غير هذه الناحية فليتجنبها وليكتف بما هو عالم به وقد قراءه والمعجبين به وأنا منهم .

(حلب) محمود محمد مصطفى السراي

غلطتان مطبعيتان

جاء في بحثي عن كتاب « تطور الري في العراق » المنشور في الجزء السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين غلطتان مطبعيتان واليك تصحيحهما :

صفحة	غلط	صواب
٣٦٧	الخضروات	الخضراوات
٣٦٨	الغرين	الغرين

م . ش

النسيب والتوجيه

- ٣ -

٨ - وورد في ص ٤٤ « بعض اصطلاحات يونانية » وليس هذا من تعابير الفصحاء لأن « بعضاً » اذا أريد بها الجزء الواحد من كل الأجزاء - وهو المعنى الأصلي الذي وضعت له - فيجب لها ان تضاف الى معرفة . فيقال « بعض الاصطلاحات اي قسم منها وأحدها » ، وإذا أريد بها جزء الجزء فيجوز ان تضاف حينذاك الى النكرة فيقال : « كتبت صحيفة أو بعض صحيفة » ومنه قوله تعالى : « قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم^(١) » ، ولعل الكاتب الفاضل أراد « ببعض » ما يريد الفرنسيون بكلمة *Quelque* فالصواب « اصطلاحات يونانية » لأن التنكير يدل على القلة وبفيدها إذا كان الجمع خالياً من وصف يدل على الكثرة كأن يقال « اصطلاحات كثيرة » فمن الأولى قولنا « اشتريت دجاجات » وشرحت كلمات ، وأقت أياماً » وما اليه من العبارات . ونقول القول بعينه في العبارة الثانية الواردة في الصفحة المذكورة وهي تتعلق « ببعض نظرات » .

٩ - وفي ص ٤٨ « فان السلف أخذها مباشرة عن اليونانيين » ومباشرة هذه هي ترجمة *Directement* الفرنسية ، وأقرب الأقوال العربية الفصيحة أن يقال « أخذوها قسداً » ولا محل هنا للمباشرة ولا وجه لاستعمالها ولو بالتأويل والتخريج .

١٠ - وجاء في ص ٤٩ أن كلمة « ابليس » على رأي الكاتب الفاضل من *Epias* اليونانية لامن *Diasolos* . قلت : ما بعد هذين اللفظين عن لفظ « ابليس » ! واللفظة القريبة منه هي « *Diabolus* » اللطينية ومنها الفرنسية *Diable* .

١١ - وفي ص ٦٠ ما نصه « وقال الحاجب للنقيب ابي محمد قل لولدك محمد » والصواب « ابي احمد » وهو والد الشريف الرضي ، والغلط يسير ولكن السكوت عنه على أهل البحث والتجري عسير

(١) سورة الكهف في الآية ١٩ منها (٦)

١٣ - وجاء في ص ٦١ ما هذا نصه « هذا ما ساقه ابن أبي الحديد في شرحه على النهج من غير ان يذكر السنة التي كتب فيها المحضر » . أراد محضر طعن العباسيين على نسب الفاطميين الذين اسسوا دولتهم في مصر بعد المغرب ، قلت : وليس كتاب شرح نهج البلاغة مقصوداً على التاريخ ولا موضوعاً لحوادث ، فمن مبادي العلم بتاريخ بني العباس علم انهم كتبوا ذلك المحضر في سنة (٤٠٣) اثنتين واربعائة للهجرة^(١) ، وأما ابن الطحاوي الوارد ذكره بين الفقهاء في المتن أو البطحوي - كما جاء في الحاشية - فصوابه « ابن البيضاوي » نسبة الى بيضاء فارس ، وهو محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الفقيه الشافعي قاضي ربيع الكرخ ببغداد في زمان كان يسكن درب السلولي ويدرس الفقه ويفتي على مذهب الامام الشافعي ، توفي فجأة ليلة الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وعشرين واربعائة ودُفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرب من غربي بغداد^(٢)

١٣ - وجاء في ص ١١١ من المجلد ان القاف شاع لفظها بالهمزة من أرمن حلب ثم عمت المدينة ومنها انبثت في سائر المدن التي ذكرناها ، قلت : من المستبعد جداً ان تشيع هذا الشيع وتعم هذا العموم وهي لثغة أرمنية يهودية حلية ، لأن طبيعة الأصوات تستوجب ان تنقلب القاف الى كاف وهذه تكون همزة وهي اللثغة الطبيعية ، وقد نقل باقوت أن احد الفتيان كانت به الكنة شديدة حتى كانت لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم « الراء والكاف » : يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة فكان اذا اراد ان يقول كركي يقول « أغاي » ولذا اراد أن يقول كركرة يقول « أغاغة » وينشد للأعشى

(١) ابو الفرج ابن الجوزي « المنتظم ج ٧ ص ٢٥٥ » وكررت كتابه المحضر سنة ٤٤٤
« المنتظم ج ٨ ص ١٥٤ » وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٣ والذهبي في دول الاسلام
ج ١ ص ١٨٧ (٢) الخطيب البغدادي « ج ٥ ص ٤٧٦ »

«أغى غجلاً في أفه أثف» يريد «قالت أرى رجلاً في كفه كتف»^(١) .
فقلب القاف همزة يجب فيه ان يسبقه حتماً قلبها كافاً .

١٤ - وورد في ص ١٢٢ قول كاتب فاضل «وفي الديوان من التشبيه ما لم يعرف مثله لأبي العلاء أو لم يؤلف في عهده كقوله :

ذوائبه مسك ثناياه لؤلؤ وخذاه نبر والعدار زمرد

قلتُ أما أن ذلك لم يعرف مثله لأبي العلاء فصحيح وأما أنه لم يؤلف في عهده فغير صحيح ، قال أبو محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المتوفى سنة ٣٩٣ قبل وفاة المعري باثنتين وأربعين سنة :

جوهري الأوصاف يقصر عنه كل فهم وكل ذهن دقيق

شارب من زمرد وثنايا لؤلؤ فوقها من عقيق

وذكر أبو اسحق الحصري أحياناً لبعض مشايخ القبروات ورواها عنه ، قال شمس الدين ابن خلكان : غالب ظني أنه [أبو] الحسن علي بن عبد الغني الحصري والأبيات ١٠٠ رأيتها في بعض المجاميع منسوبة الى ابن الحجاج الشاعر المشهور وهي :

ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا

قرنوا البنفسج بالشقيق ونضروا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

فهم الذين اذا الخلي رآهم وجد الهوى بهم اليه طريقا^(٢)

فهذه التشبيهات كانت مألوفاً في زمان المعري ويضعف دليل الكاتب الفاضل

من هذا الوجه .

١٥ - وورد في ص ١٣٠ « ذيل النفحة ونيل المنحة لمحمد بن السمان اوله :

رب أوزعني ان اشكر نعمتك » قلت : وجدت في آخر النسخة التي في خزائني

ما هذا نصه « تم بحمد الله تعالى ذيل النفحة ونيل المنحة لمولانا المرحوم المغفور له

السيد محمد أمين أفندي الحبي ، جمع الأديب البارع الشيخ محمد المعروف بابن السمان

(١) باقوت في معجم الأدباء « ج ٦ ص ٢٨٦ » - (٢) الوفيات « ج ٢ ص ٥١٢ » من طبعة النجم

«عني عنها»^(١) وفي ص ١٣٤ من نسختي أيضاً مانعه «ولجامعه الفقير محمد بن السمان عفا عنه الرحيم الرحمن . . .» فالتأليف للمحبي مؤلف خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ، والجمع لابن السمان المذكور .

١٦ - وورد في ص ١٤٣ «فوجدناها لا تتفق ونسبة هذه المذكرات» .
والصواب «لا تتفق هي ونسبة» لأن الاسم الظاهر اذا عطف مرفوعاً على الضمير المستتر او المتصل ، وجب^(٢) تحقيق الضمير وتوكيده بلفظه او الفصل بين الفعل والظاهر بفصل لفظي ، وشذت من هذه القاعدة ما بنشده النجوبون من الأبيات الغربية منها :

زعم الأخطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له لينالا

وقول آخر :

قلتُ إذ أقبلتُ وهند تهادي كنعاج الفلا تعسفن رملًا
ولا يجوز ان يجعل «نسبة» مفعولاً معه لأن الفعل «تتفق» مشترك لا يستغني
بمرفوع واحد .

١٧ - وجاء في ص ١٨٢ «تقويم الأبدان لابن جزلة كتب سنة ٥٢٩٧ هـ» .
قلتُ : لعل في الرقم التاريخي غلطاً مطبعياً فانّ ابا علي يحيى بن عيسى بن جزلة
الحكيم الطبيب المستبصر في آخر عمره توفي في أواخر شعبان من سنة ٤٩٣ هـ^(٣) ،
فلعل تاريخ كتابته سنة ٤٩٧ سبغ وتسمين وأربعمائة ، او ما بعدها ، وجاء في الصفحة
نفسها «منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ليحيى بن عيسى الكاتب ٤٩٣ هـ في الطب» .
وهو ابن جزلة نفسه وتاريخ وفاته صحيح .

(١) تراجع مجلة المجمع «مج ١٨ ص ٢٧٢ (٢) يجوز على مذهب الكوفيين وليس بشيء
لأنه ورد في الشعر - سب ولا هبة به اذا خالف النثر ولغة القرآن (٣) شمس الدين ابن خلكان
في الوفيات «ج ٣ ص ٦١٠» من طبعة المجمع . وأبو الفرج ابن الجوزي في «المنتظم ج ٩
ص ١١٩» ووقومهم في مختصر الاول لابن البري «ص ٣٣٩» طبعة البسويين وتاريخ الحكماء
لائقظي «ص ٢٢٥» بجمل «النسب» ص ١١٩ أي بجمل وفاته سنة ٤٧٣ فليصلح

١٨ - وجاء في حاشية ص ٢٠٢ ان خلافة الامام المقتني لأمر الله ابي عبد الله محمد المقتني لأمر الله العباسي ابتدأت من اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ . وفي ص ٢٠٩ من المقالة ان « اول خلافة المقتني بالله في سنة ثلاثين وخمسمائة » ، والصحيح ان بيعته كانت في يوم الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة من سنة (٥٣٠) هـ على ما ذكر ابن الجوزي وهو أعرف بها من غيره (١)

١٩ - وفي ص ٢٠٣ س ١ « ولا تعويل لدى معرفة عليه » والصواب « لذي معرفة » بالدال المعجمة لا الدال المهملة ، ومعناه ان ذا المعرفة لا يعول عليه أبداً .
٢٠ - وجاء في ص ٩٩ ذكر لأبي عبد الله محمد بن علي العظيبي المؤرخ الحلبي ، وتاريخ ولادته دون وفاته ، قلت : جاء في المجلد السادس من وفيات الأعيان لابن خلكان « ص ٣٢٠ » من طبعة الدكتور فريد الرفاعي سنة ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ ما هذا نصه « ذكر ابن العظيبي الحلبي في تاريخه ان الأمين ٠٠٠ » وفي الحاشية ما هذه صورته « هو محمد بن علي بن محمد ابو عبد الله التنوخي الحلبي ، ولد بحلب وكان إماماً شاعراً فصيحاً بليغاً ومن شعره : يلقى العدى بجنان ليس يرعيه ٠٠٠ » ولد ابن العظيبي سنة ٤٨٣ هـ وتوفي حوالي سنة ٥٦٠ هـ احمد يوسف نجاتي ، وقال هذا الفاضل المعلق في المجلد الثاني ص ١٠٧ ما نصه « هو ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي كان إماماً مؤرخاً وشاعراً بليغاً وأديباً واعياً توفي سنة ٤٨٤ هـ » يجعله سنة الولادة. تاريخ الوفاة التقريبي الذي ادعاه ، وله فضل السبق على كل حال مع ما أتاه من الاخلال .

٢١ - وورد في ص ٢١٥ سؤال كاتب فاضل عن كتاب « الطرديات » لكشاجم أفاثم هو بنفسه ام داخل في حيز كتاب « المصايد والمطارد » ؟ قلت : يستدل مما اورده ابن خلكان في ترجمة ابن شرشير الأنباري انها كتاب واحد قال « ولابن شرشير أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته والصيد وما يتعلق بها كأنه

(١) المنظم « ج ١٠ ص ٦١ »

كان صاحب صيد وقد استشهد كشاجم شعره في كتاب المصايد والمطاردي في مواضع منها قصائد ومنها طردبات على أسلوب أبي نواس ومنها مقاطيع وقد أجاد في الكل فمن ذلك قوله طردته في وصف باز: لما تفرى الليل عن أثباجه^(١) «...» فدخل الطردبات في المصايد والمطاردي واضح في هذا النقل .

٢٢ - وورد في ص ٢٠٨ س ٦ « وهجموا ربعتها » والصواب « ربضا » بالضاد المعجمة ، وربض البلدة أو المدينة ما حوّلها من الأحيوية والبساتين ، هذا هو الأصل وورد في تاريخ الخطيب البغدادي ما يدل على أن أرباض مدينة السلام كانت في حيز سورها ومن محلاتها ، وفي المرصد « قيل الربض أساس المدينة ، بضم الراء وبالتحرّيك ما حوّلها وقال بعضهم هما لغتان »

٢٣ - وجاء في ص ٢١٦ « ونشر عن بعضها وصفاً مسهباً » وفي الجملة غلطان أولها استعمال الكاتب الفاضل « عن » . مكان اللام . فإنه يقال « هذا وصف له » لا وصف عنه والثاني استعماله « مسهباً » من دون صلته « فيه » فإنه يقال « أسهب فيه »

٢٤ - وورد في ص ٢١٩ « وأبي طمجان والقني » . والصواب « وأبي الطمجان القيني » وهو حنظلة بن الشرقي ، وفيها أيضاً « وذو الرمة محمد » والصواب « وذو الرمة غيلان بن عقبة » وفيها « عبد الصمد بن المعزل » والصواب « المعتزل »

٢٥ - وفي ص ٢٢١ « ولم يخص الكتاب للحيوان وحده » . والتصحيح « بالحيوان » يقال « خص الشيء بكذا وخصصته به » أما « خص » المتعدي في الظاهر فيحتاج إلى مخصوص به مثل « اختصه » يقال « خصه بجائزة واختص فلاناً بجائزة »

٢٦ - وفيها أيضاً « ان من اسباب ... هو خوفه » وهذا إصمّار للظاهر قبل ذكره غير جائز أبداً ، فهو مخالف للفصاحة ، فالصواب « ان من اسباب ... خوفه »

٢٧ - وفي ص ٢٢٢ « في القرون الغابرة » . أراد بالغابرة « السالفة والماضية »

(١) الوفيات « ج ١ ص ٢٨٥ » من طبعة المعجم

وهو ضد ما استعملته فيه فصحاء الأمة وعلماء اللغة ، فالغايرة للباقية من حاضرة ومستقبلة ، وأما دعوى أنها من الأضداد فلا يعاج عليها ولا يلتفت إليها لأن منشأ ذلك تصحيف حدث في العين المهملة ، فعدوها غيناً معجمة ، فالسالفه هي «الغايرة» بالعين المهملة والباقية بالغين المعجمة أي «الغايرة»

٢٨ وفي ص ٢٤٢ «قلنا فليسمح لنا حضرته أن نخالفة في رأيه هذا» وهذا تعبير كسير لأن المخالف لا يطلب السماح ، ولا سماح في المخالفة ، فلا يقول أحد «ابذن لي في أن أعصيك» و«طب نفساً عما أنزكته» وليس هذا من باب التعكيس كقوله تعالى «فبشرهم بعذاب اليم»

٢٩ - وورد في ص ٢٥١ ما نصه «أما وجود النون بين القاف والطاء عند الغريبيين^(١) فأخوذة^(٢) من لغة للعرب الذين يقحمون النون في بعض الأحيان فيقولون انجاص في إجاص و ٠٠٠» قلت : ليس هذا إقحاماً وإنما هو إبدال وله قاعدة مطردة القياس في باب الإبدال في العربية وهي أن العرب تستنقل الحرف الثاني المضعف في الكلمة ، فتبدل من أحد ضعفيه إما حرف علة. وأحرف العلة أخف الحروف ، وأما نوناً وهي أخف الحروف بعد أحرف العلة ، وأما راءً وهي تلي النون في السهولة ، فالنون في الانجاص والخرنوب والذرنوح والقنبرة والفنطيسة ، عرض من الضعف المبدل منه^(٣)

٣٠ - وفي ص ٢٥٣ «لأنه لا يبقى نصراني ، الا حضره وتقرب منه» وفي الحاشية «يمكن ان تكون (فيه) بمعنى تقرب الى الله فيه» . قلت : هذا صحيح يحتاج الى زيادة فيقال «بمعنى تقرب الى الله فيه بقربان» لئلا يفهم من التقرب معناه الحقيقي أو المجازي بغير القران الذي أريد هاهنا .

٣١ - وجاء في ص ٢٥٧ قول المأمون «لكم على حرومي أصحاب اخبار» بضم

(١) Contrée وما يماثلها في الانكليزية واللاتينية واليونانية (٢) الدواب «فأوذ» لأن الوجود مذكر والأخبار عند لا عن انون ، ولو قال «فأما النون فأخوذ» لصح قوله ولله من غلط الطبع (٣) وراجع كلامنا على [الفوضى] في هذه المجلة مع ١٨ ص ٢٥ - ٢

الحاء والراء من «حرمي» والصواب «حرمي» بفتح الراء جمع حرمة ، أراد «نسائي» قال الفيومي في المصباح «والحرمة» ايضاً المرأة والجمع محرم مثل غرفة وغرف «وقال ابو سعيد اسحق بن خلف البهرائي يرثي ابنة اخته :
قد كنت أخشى عليها ان تقدمني الى الحمام فيبلي وجهها العدم
فالآن نمت فلا هم يؤرقني يبدا الغيور اذا ما أودت الحرم^(١)

٣٢ - وجاء في ص ٢٦٦ «وقال التنوخي حضرت بيغداد مجلس الملك عضد الدولة في يوم عيد الفطر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والشعراء بنشدون الثماني» .
قلت : لعل الأصل «سبع وستين وثلاثمائة» لأن سنة ٣٢٧ لا توافق الحقيقة التاريخية ، وعضد الدولة لم يكن اميراً بيغداد قبل سنة ٣٦٧

٣٣ - وجاء في ص ٢٧٥ «ويسرنا ان نرى الأستاذ الفاضل حريص» .
والصواب «حريصاً» ولعل الأصل «نرى أن الأستاذ حريص» فسقطت «أن» في الطبع ، لأن أمر الغلط هذا من البديهيات .

٣٤ - وجاء في ص ٤٠٢ ما نصه «فالعربية الأولى ٠٠٠ لم تعد فتنش بحرف ما ثم عداها الزمان بعن وفي وعلى ولهذا الحرف الأخير من المعاني المذكورة في كتب اللغة والنحو ما يماشي الفعل فتنش يمشي معه» قلت : ان المعنى هو الباعث على التضمنين^(٢) والتقدير في كل الأفعال ، ومبلغ الدلالة هو الموجب للايجاز أو التطويل ، فليست القضية سماعية بل هي قياسية ، لأن أصل العبارة «فتشت

(١) المبرد في الكامل [ج ٣ ص ٢٥٢] من طبعة الدبلوني الأزهرى ، ولا تزال العامة في العراق يسمون المرأة محرمة (٢) ضمن [فتش] معنى [دور] و [دار] عليه وهو مولد ايضاً ، قال أبو زكريا يحيى بن سعيد بن الدهان [٥٦٩ - ٦١٦] :

فصرت الآن منحنياً كأنني أفنش في التراب على شبلي

ولذلك وجب ذكر الفعلة المهدوفة إذا نقل هذا الفعل الى [فاعل] قال تمام بن أشرس النميري يصف الفراء [فجلست اليه فقاتته عن اللغة فوجدت بجرأ وفاتته، عن النحو فشاهدته نسبيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً قهياً] الوفيات ج ٢ ص ٣٧٠ من طبعة المجمع .

الدار عن الشيء^(١) فهي مفتوشة ، وقتشتها عنه فهي مفتشة » فإذا دلت إحدى الفضلتين على المعنى المهم فمن البلاغة حذف الثانية ، فكذلك قيل « فتشت عن الشيء » والفضلة الثانية مقدرة بحسب طبيعة اللغة ، ومن أمثلة ذلك « دافعت عن البلاد وحافظت على المال ، وحاميت عنه وعليه وذبت عن العشيرة » والأصل دافعت العدو وحافظت غيري وحاميت الناهب وذبت المهاجم » وهذا يستوجب ان يكون « فتش عنه » غير فتشه وان كانت المغايرة ناقصة لا تامة ، واما اقسام المعنى في مثل « فتش » فهي « الفاتش » و « المفتوش » و « المفتوش عنه » واذا كان المفتوش ظرف مكان جاز ان يقال « فتش فيه » لأن الظرفية من ضروريات الكلام والأصل فيها الجر بالحرف ، أما النصب فهو حادث من حوادث الاختصار والايجاز

٣٥ - وجاء في ص ٤٠٦ « بل النسخة التي اختصها بنفسه » . ومعنى ذلك أنه وهب لها نفسه وهو تعبير عجيب في غرابته ، لأن العاقل لا يهب نفسه لنسخة من مخطوط يباع ويشتري ، فالصواب - ولعله مراد الكاتب الفاضل - اختص نفسه بها »

٣٦ - وورد في ص ٤٠٨ من مقامات نحر الدين الجويني الحموي « وزملكش وقواد » . وفي الحاشية ما نصه « كذا في الأصل وصوابه زملق ٠٠٠ وترى معناها في المعاجم والكلمة بذبئة » قلت : ومن بحث عن معناها لم يجدها بذبئة وانما هي تعني حالة طبيعية في البدن ، أما كون أصل زملكش « زملقا » فبعيد عن الصواب ، والظاهر ان أصل زملكش هو « مزككش » اسم فاعل من زككش يزككش أي تبدل وغنى في الطرقات أو فعل غير ذلك من الأفعال الدنيئة بحسب آراء المسلمين ، ونؤيد دعوانا بأن أبا منصور بن أبي بكر بن شجاع المعروف بابن نقطة الخبلي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وصفه جماعة من المؤرخين بالمزككش ، قال ابو شامة بعد ذكر اخيه عبد الغني بن أبي بكر الزاهد : واخوه ابو منصور بن نقطة المزككش ، كان ينشد كان وكان في الأسواق ويسحر الناس في رمضان ، قيل له : ما تستحي ،

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٣٢٩] من مجامعنا الخطبة .

أخوك زاهد العراق وانت تزكلكش في الأسواق فقال مواليا ٠٠٠» هذا ماورد في ذيل الروضتين لأبي شامة ومثله تقريباً في تاريخ الاسلام للذهبي ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وله ترجمة مختصرة في الجامع المختصر لابن الساعي الخازن .
٣٧ - وورد في الصفحة عينها « وذهبي » ومداد » فعلق عليه ناشره الفاضل « الذهبي المشتغل بالذهب » وهو تعريف حسير ، وفي انساب السمعاني ان الذهبي هو الذي يفتن الذهب ويخلصه من الغش ، والذي يعمل خيوطاً من ذهب^(١) .
وهذا التعريف خرج الصائغ والصيرفي والمستثير الذهب من معدنه واختص به صناع في دار الحمرب والمدون لغزل السقلاطون وغيره .

٣٨ - وجاء في ص ٤٠٩ « ومتوز ودهان ونداف وقطان » وجاء في الحاشية تعليق عليه نصه كذا وردت في الأصل ولم نعرف الكلمة الأصلية التي صحفت عنها واعلمها « مصور » لأن الكلمة التي تليها هي دهان ، فيتسق المصور مع الدهان » اهـ .
قلت : بل الظاهر انها « المزوق » اسم فاعل التزويق ، وهو مشهور معروف المعنى كما في انساب السمعاني وأساس البلاغة .

٣٩ - وورد في ص ٤٢٣ « كتاب الدر الثمين في سيرة نور الدين : نور الدين زنكي » قلت : والصواب « نور الدين ابن زنكي » لأنه محمود بن زنكي الملقب بنور الدين ولعل هذا من غلط الطباعة .

٤٠ - ونشر في ص ٢١٧ وما يليها مقال جامع في كتب الحسبة والنبد المؤلف قديماً فيها والمؤلفة حديثاً ، قلت : يجد الباحث في كتاب « تلخيص مجمع الالقاب » لابن الفوطي شيئاً من أخبار المحسبين ونعت الحسبة ومن ذلك قول مؤلفه في أحدهم « علاء الدين أبو عبد الله عبيد الله بن يحيى بن أبي القاسم المذاري المحسب كان فقيهاً عارفاً بأمر الحسبة ومراعاة العوام في المتاجر والصناعات ومنعهم من الغش والتدليس في سائر المعاملات وامتجانب المكاييل والاوزان وحياطتها من

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٩ ص ٣٢٩] من مجاميعنا المطبوعة في دار الألوكة

التطيف والنقصان ومن فعل شيئاً من ذلك كان بناله بغليظ العقوبة وله في ذلك السيرة العادلة^(١) . وجاء في هذه المقالة الجامعة (ص ٤٢٦) ذكر لكتاب كتبه رشيد الدين الوطواط في تقليد الحسبة ، وأحال فيه كاتبه على رسائل الوطواط . قلت : إن الكتاب نفسه قد أوردته ياقوت الحموي في ترجمة رشيد الدين المذكور قال « ومن انشائه أيضاً تقليد حسبة صدر عن ديوان خوارزم وهو : إن أولى الأمور بأن تصرف أئنة العناية الى ترتيب نظامه^(١) » . وبينها فروق في الزيادة والنقصان وفي صور الألفاظ ومن الغريب ان الأستاذ مرغليوث المستشرق المشهور لم يكلف نفسه عناء المقابلة بين النصين مع إحاطته في الحاشية على رسائل الوطواط ، فمن ذلك ما ورد في معجم الأدباء^(١) « وتقتصر المهم » وفي الأصل « تقتصر غايات المهم » وفي معجم الأدباء « ويتوقف عليه صلاح » وفي الأصل « يتمطف عليه »

٤١ - وفي ص ٤٢٩ كلمة موسومة بأسماء منتخبة لمسميات حديثة جاء فيها ان الكنف وزان حبر هو الزنفليجة يكون فيها أداة الراعي ومتاعه . قال كاتبها الفاضل « فالكنف على هذا ضالغ لأن يطلق على محفظة الطبيب (جزدانه) الذي يضع فيه مقصه وشفرته وأداته وما يحتاج اليه احتياجاً قريباً » . قلت : الكنف أداة من أدوات الراعي ، ومثله « الصفن » بالضم ، ففي مختار الصحاح أنه « خريطة » تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج اليه » . وجاء في الصحاح أن هذا قول ابي عمرو لأن الصفن عند غيره مثل الركوة يتوضأ به أو وعاء من آدم مثل السفرة يستقى به . وفي مثل هذه المصطلحات يجب ان يرجع الى التاريخ قبل غيره فيسأل أولو العلم به هل كان أطباء الزمن القديم يتخذون جزدانات ؟ وما اسم الواحد منها ؟ قلت إن المؤرخين كانوا يتساهلون في مثل ذلك وقد جاء في رسالة للإمام ابي عبد الله محمد بن يحيى بن فضالان الشافعي مدرس النظامية والمستنصرية ودار الذهب والثقتية ببغداد ، بعث بها إلى الخليفة الامام الناصر لدين الله أو الخليفة

(١) معجم الأدباء [ج ٧ ص ٩٢]

الامام المستنصر بالله يشكو فيها اليه اهل الذمة ويقول فيها « ومنهم الاطباء اصحاب المكاسب الجزيلة ٠٠٠ يخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين وخمس قوائم من تذكرة الكحالين وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يعرف وبين يديه المكة والملحذات يؤدي هذا في بدنه ويجرب على ذاتي عينه فيفتك من اول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكته مملوءة بقراءة ٠٠٠^(١) » فالظاهر ان كيس الطبيب هو « النكة » ، مأخوذة من مكة الدابة ، ومن الألفاظ المعربة « الحرمدان » ومعناها الشنطة العصرية وقد استعملت في النجوم الزاهرة قال « وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح بأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الانشاء^(٢) » وجاء في السلوك « واتفق أن الأمير طرنطاي النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتر فأمروهم وفيهم حامل حرمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء^(٣) »

٤٢ - وجاء في ص ٤٣٠ « فالذنية وان كانت مولدة عراقية مستعملة منذ عصر الحريري » قلت أورد كاتبها الفاضل بيتاً لابن النكك استعمل فيه « الذنية » وهذا الشاعر كان معاصراً للمتنبى وقد هجاه ، فالذنية كانت مستعملة إذن منذ أوائل القرن الرابع والحريري أدرك أوائل القرن السادس .

٤٣ - وورد في ص ٤٣١ « السوائل الملتببة التي يقذف بها ايام الحرب » . قلت : الصواب « المائعات والموائع » لأن السيلان لبس بشرط أصلي في التسمية ولأن أكثر تلك الأشياء لا تسيل ، قال الشريف الرضي في قول الرسول ﷺ : « ويل لأفئاع القول . ما صورته » ٠٠٠ فشبهه - ع - آذانهم بالأفئاع التي يفرغ فيها ضروب القول إفراغ المائعات^(٤) ولم يقل السائلات ولا السوائل مع ان الأفئاع لا يفرغ فيها إلا ما يسيل ويجري ، وذكر الامام الخافض ابن عبد الهادي

(١) الحوادث الجامعة [ص ٦٦ - ٧] من طبمتاله وهي طبعة رديئة داخلها الخلل من جهة المنفق على طبها وهو أحد الكشبيين التجاريين ينفذ ، فانه تصرف في نشره وطبعه طبم الجرائد المصرية (٢) النجوم ج ٨ ص ٥٠ (٣) مج ١ ص ٢٩٧ وقد نشره طابعو النجوم بالاستعانة بمجمع استفجاس وشرحه طابع النجوم بما ورد في مستدرک دوزي (٤) المجازات النبوية ص ٢٩ طبعة مصر

المقدسي تواليف الامام العلامة الفقيه ابن تيمية ، وقال « وقواعد في المائعات والحياة وأحكامها ^(١) » فهي في الفقه معروفة بالمائعات أيضاً ، والكتب المدرسية لا يستعمل فيها إلا « السوائل » وهو غلط مبين .

٤٤ - وورد في ص ٤٥٨ أن لباس أهل الأندلس في أيام الحزن هو البياض وفي ذلك بقول الحلواني : « لئن كان البياض لباس حزن ٠٠٠ » ، قلت : ذكر العلامة شمس الدين ابن خلكان البيهقي المذكورين في الأصل - اعني ص ٤٥٨ - في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني قال « وقال في لباس أهل الأندلس البياض عند الحزن على الميت ويقال انهم استسنوا ذلك من عهد الأيوبيين قصداً لمخالفة بني العباس في السواد : إذا كان البياض لباس حزن ٠٠٠ » ونود هاهنا ان نذكر أن العباسيين جعلوا السواد لباسهم المعتاد واتخذوا البياض لا أيام الحزن فقط - كما كان يفعل أهل الأندلس ، قال الشيخ المؤرخ المقرئ أبو عبد الله بن الديلمي في ترجمة أبي داود سليمان بن ارسلان « ولما نفضت الخلافة الى سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الأنعام الي العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - شرفه بتوليته النيابة بدبوان المجلس ٠٠٠ وخلع عليه بالتاج الشريف جبة ابريسم بيضاء مصمت وبقيار قصب ابيض لأجل العزاء بالامام المستضيء بأمر الله - رض - ٠٠٠ ^(٢) » ، وقال الشيخ الأديب الكبير صلاح الدين الصفدي في ترجمة سلجوقي خاتون بنت قليج ارسلان بن مسعود السلجوقية والأمر التي حدثت لوفاتها « ورُفعت العذر والطرحات ولبسوا الأبيض ورُفعت البسمة ووضعت على رؤس الخدام » ، ذكر ذلك في الوافي بالوفيات ، وهذا بوضع ما ورد في الحوادث الجامعة « ص ١٧٢ » من أن الزعماء ركبوا بالأقبية البيض وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار في ليلة الجمعة الحادي عشر من شعبان : ليلة نقل جثة الامام المستنصر بالله العباسي من الدار المثمنة بدار الخلافة من الجانب الشرقي ببغداد الى مقبرة الخلفاء العباسيين في محلة

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٥ -

(٢) أصول التاريخ والأدب مج ٢٠ ص ١٨٩ ، من مجموعتنا الخطبة

الرُصافة قرب محلة الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت المعروفة اليوم بالأعظمية وقديماً بمقبرة الخيزران زوج الخليفة المهدي بن المنصور .

٤٥ - وجاء في ص ٤٥٩ « وكلا الناقل والمنقول عنه يُبدع الابداع كله »
 قلت : والفصيح « والناقل والمنقول كلاهما » و « وكلا الرجلين الناقل والمنقول عنه ٠٠٠ »
 إذ لم يكن من الفصيح اضافة « كلا » إلى المفرد وكذلك الأمر في « كلنا »
 ٤٦ - وجاء في ص ٤٧٠ ان بنفسها الرومية جارية الامام المستضيء بأمر الله
 العباسي توفيت يوم الجمعة في ١٩ ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ . قلت : وفي التاريخ
 خطأ عظيم صوابه سنة ٥٩٨ هـ قال الامام ابو المظفر سبط ابن الجوزي في وفيات
 سنة ٥٩٨ هـ « وفيها توفيت بنفسها بنت عبد الله جارية المستضيء كانت كريمة
 سالحة . ولما توفيت تولت أمرها والدة الخليفة [الناصر لدين الله] وجعلتها احسن
 جهاز ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي وذلك في ربيع الأول^(١) .
 وكنت ذكرت أن التربة باقية الى اليوم بقيتها المخروطة وتعرف بقبة الست
 زبيدة في الجانب الغربي من بغداد ، وقال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ :
 « الجهة^(٢) بنفسها بنت عبد الله التركية الجنس ، عتاقة الامام المستضيء بأمر الله
 - رض - كان لها ير ومعروف وصدقة جارية وقفت مدرسة بباب الأزج على
 دجلة على فقهاء الحنابلة ووقفت عليها قرية وأمرت بعمل جسر على دجلة ، ولها
 بطريق مكة آثار جميلة توفيت يوم الجمعة تاسع عشرين شهر ربيع الأول من
 سنة ثمان وتسعين المذكورة وُصلي عليها بالجانب الغربي عند التربة المجاورة لقبر
 معروف الكرخي - رحمة الله عليه - ودفنت بها^(٣) » .

وذكر وفاتها في التاريخ المذكور شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام وابوشامة
 في ذيل الروضتين وابن الأثير في الكامل ، الا أن لفظة « المستضيء » في الطبعة
 المصرية تصحفت الى « المستنصر » فصارت « جارية المستنصر » وذلك خطأ واضح .
 ولما ولد رستها التي درس فيها ابن الجوزي أخبار جميلة لا محل لها هنا .

(١) امرأة الزمان مختصر المجلد الثامن ص ٣٣٦ - ٣ طبعة شيكاغو (٢) الجهة هي
 حرمة الخلفاء والسلاطين والملوك الكبار : (٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ٨٨ - ٩ من طبعاوهي الأولى

٤٧ - وجاء في ص ٣٢١ « كتاب روضة البلاغة لأبي الحسن عبد الملك بن محمد ، هو مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقمه ١٤٨ أدب » قلت : الذي أطلقه من أسماء الرجال « أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمداني أحد المؤلفين المشاهير والمؤرخين البارعين ، وله عدة كتب ذكر منها الحاجي خليفة في كشف الظنون ، وتوفي سنة ٥٢١ هـ كما في تاريخ المنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ج ١٠ ص ٨ » وكامل ابن الأثير في وفيات تلك السنة ، والظاهر لنا أنه مؤلف روضة البلاغة إلا ان اسمه تصحف ، وصعب بذلك تاريخ وفاته

٤٨ - وجاء في ص ٣٢٦ « سمع المأمون يقول كان لي خراساني يوماً عجيباً « كذا » وأولاني الله فيه بلسانه ^(١) الجميل وذلك ٠٠٠ » قلت : الظاهر أن الأصل هو « كان لي بخراسان يوم عجيب وأولاني الله فيه بمسانه الجميل » ، أراد ان النهار كان مشوئماً عليه فأولاه الله تعالى الجميل في المساء

٤٩ - وفي ص ٣٢٨ قول هازل متنادر « لا أعرف لك عملاً أولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش » . قلت : الصحيح « بريدات » جمع بزند على وزن سرخس وهو الجسر - على ما يظهر لي من الأخبار - ، فما نقله هلال في تاريخه للوزراء قول أحدهم « وقدر للنفقة على بزند من بزندات نهر الرقيل ثلاثون ديناراً فلم يطلقها وقال : نفقة هذا البزند واجبة على صاحب الضيعة ^(٢) » وقد كرر هذا اللفظ غير مرة ، وقد جاء في أخبار هلال ما هذا نصه « يامعاشر الناس اجتزت الساعة على جسر قارون وهو بزند من البزندات ، وتسمى البزندات بمصر جسوراً ^(٣) » وجاء في أحد الكتب « قال أبو الوفاء البوزجاني : المساحة تنقسم الى ثلاثة أقسام : بسيط وأجسام وأبعاد ٠٠٠ والمجسم مثل الأنهار والبرك والآبار والأحواض والبزندات ٠٠٠ ^(٤) »

يتبع : (بغداد) الدكتور مصطفى جواد

(١) وهذه العبارة تستوجب [كذا] كذلك (٢) تحفة الانسواء في تاريخ الوزراء ص ٢٥٧
(٣) المرجع المذكور ص ٢٢٠ (٤) الحاوي في أعمال المتصرفين ، لمؤلف مجهول ،
رقم ٢٤٦٢ من عريبات دار الكتب الوطنية بباريس [الورقة ٢٢٩]

